٤٢
تصدر منتصف كل شهر هجري - السنة الثامنة - ١٥ / ربيع الثاني / ١٤٢٤ هـ - عدد ٤٢

الأصالة

رسالة إسلامية منهجية جامعة

عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

إقرأ في هذا العدد. . . .

- أخلاق النبي ﷺ في السلم والحرب . . . التحرير
- أسباب ضعف المسلمين أمام عدوهم ووسائل العلاج لذلك . . .
  سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز
- قراء سلفيون . . . الشيخ أبو أنس محمد بن موسى آل نصر
- تغييرٌ . . فتغيير . . . الشيخ أبو الحارث علي بن حسن الحلبي
- كلمات إلى طلاب العلم . . . أبو مسلم مجدي بن عبدالوهاب الأحمد
- العراق ونزيف حضارة خمسة آلاف عام !! . . .
  خالد بن عبدالعزيز الجناحي الجناحي
- خفافيش أعماها النهار بضوئه . . .
  الشيخ سعد البريك
- كلمة تساوي ألفاً . . . التحرير

الأصالة
أشعر أنها اسمٌ على مسمّى إن شاء الله
الشيخ العلامة
محمد ناصر الدين الألباني
رحمه الله
مجموع فتاويه
(رقم ٦٣١٨)

الناشر
مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية
تلفون : ٣٦١١٢٣٢ - ٥ - ٠٠٩٦٢

السنة الثامنة - عدد(٤٢)
١٥/ ربيع الثاني/ ١٤٢٤هـ

رسالة إسلامية منهجية جامعة

الأصالة

٤٢

عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

تصدر منتصف كل شهر هجري (وفي كل شهرين مرة مؤقتاً)
من (مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية)
مدير المركز: الشيخ سليم بن عيد الهلالي

أسرة التحرير:
الشيخ د. محمد بن موسى آل نصر ..... رئيساً
الشيخ سليم بن عيد الهلالي ..... عضواً
الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري ..... عضواً
الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان ..... عضواً

إخواننا القراء

نرحب بكل مقال علمي رصين،
ونرغب في كل نقد هادف بنّاء
في (الأصالة):
منبر لكل مسلم مخلص داع على الحق . .
- وفقنا الله وإياكم لكل خير -.

الاشتراكات
- المملكة العربية السعودية (٩٠ ريالاً).
- بقية الدول العربية (٢٥ دولاراً).
- أوروبا (٣٠ دولاراً).
- أمريكا (٥٠ دولاراً).

ثمن النسخة
الأردن: (دينار)، الإمارات المتحدة: (١٠ دراهم)، البحرين: (دينار)، السعودية (١٠ ريالات)، الكويت: (٨٠٠فلس)، أوروبا (٤دولارات)، أمريكا (٥دولارات).

عنوان المراسلة
الأردن - عمّان
ص.ب (٩٨) الرمز البريدي (١٣٧٨١).
تلفاكس: ٣٦١١٢٣٢ - ٥ - ٠٠٩٦٢
موقعنا على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت):
www.albani-center.com
البريد الإلكتروني: albani1421@hotmail.com
ترسل المقالات والاشتراكات باسم رئيس تحرير مجلة الأصالة

تطلب (الأصالة) من:
الإمارات: جمعية دار البر - دبي
البحرين: مكتبة التوحيد
الجزائر: مجالس الهدى للإنتاج والتوزيع
08 شارع السيدة الإفريقية - باب الوادي - الجزائر
هاتف: ٢١٩٦٧٧٠٠ (٠)٢١٣ فاكس: ٢١٩٦٦١٠٠ (٠)٢١٣

بريطانيا وإيرلندا:
Call to Islam Education Centre
116 Bury Park Road
Luton Beds
England. UK
Tel: 01582 724 647
FAX: 01582 724 654
E-Mail: calltoislaam@hotmail.com
Web site: www.calltoislam.com

الولايات المتحدة:
AL-QURAN WAS-SUNNAH SOCIETY (QSS)
19800 VAN DYKEROAD
Detroit 48234-3354
Tel: (313) 893 - 3768
Fax: (313) 893 - 3748

وتطلب (الأصالة) من جميع المكتبات السلفية في العالم.

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (٤/٣/١٣٢٨)- رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٢٠٣/٢٠٠٢/د).

خطبة الحاجة

إنَّ الحَمْدَ للهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنستَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بـاللهِ مِـنْ شُـرُور أَنْفُسِـنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّـدٍ ﷺ، وَشَـرَّ الأُمُـور مُحْدَثَاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَـةٍ بِدْعَـةٌ، وَكُـلَّ بِدْعَـةٍ ضَلالَـةٌ، وَكُـلَّ ضَلالَـةٍ فِـي النَّـار.

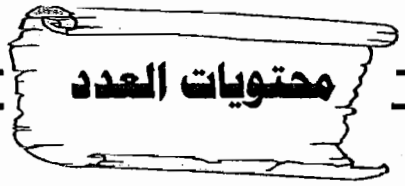

محتويات العدد

. فاتحة القول: أخلاق النبي ﷺ في السلم والحرب

أسرة التحرير ٥

. تأملات قرآنية: تغيرٌ .. فتغيير

الشيخ أبو الحارث علي بن حسن الحلبي ٨

. الكلم الطيب: مدى الاحتجاج بالأحاديث النبوية في الشؤون الطبية والعلاجية (٢)

الشيخ أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي ١١

. توجيهات إسلامية: كلمات إلى طلاب العلم

أبو مسلم مجدي بن عبدالوهاب الأحمد ١٨

. في رحاب العلم: قراء سلفيون

الشيخ أبو أنس محمد بن موسى آل نصر ٢٧

. مباحث حديثية: إعلام النبية بتضعيف روايات (وأبيك) و(أبيه) (٢)

الوليد بن نبيه بن سيف النصر ٣٧

. مباحث عقدية: الفرق بين الصغيرة والكبيرة، وبيان الآثار المترتبة على ذلك (٣)

الشيخ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ٤٣

. تصفية وتربية: أسباب ضعف المسلمين أمام عدوهم ووسائل العلاج لذلك (١)

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ٥٤

. عبرة وذكرى: خفافيش أعماها النهار بضوئه

الشيخ سعد البريك ٦١

. **مرآة التاريخ:** العراق ونزيف حضارة خمسة آلاف عام!!
خالد بن عبدالعزيز الجناحي الجناحي ٧٣
. **أقلام واعدة:** مختصر وصية الفقيه أبي الوليد الباجي (٢)
عبدالرحمن بن محمد بن موسى آل نصر ٧٧
. **مسك الختام:** كلمة تساوي ألفاً . . .
أسرة التحرير..... ٨١

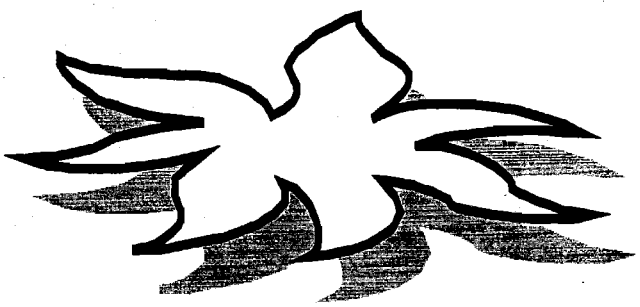

أخلاق النبي ﷺ في السِّلم والحرب

• بقلم: أسرة التحرير

لقد مدحَ اللهُ في كتابه وعلى لسان رسولِه ﷺ الأخلاق، وأثنى على أهلها وعلى رأسهم محمد ﷺ حيث قال في حقه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤].

ولما سُئلت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عنه ﷺ قالت: «كان خُلُقُه القرآن»، يا لها من عبارة وجيزةٍ بليغةٍ جمعت الخير كلَّه.

كان ﷺ يهتدي بهدي القرآن، يَتمثل أخلاقَ القرآنِ، ويمشي بها في الناس في سلمه وحربه ومع أصدقائه ومع أعدائه؛ فيترجم أخلاق القرآن إلى واقعٍ حيٍّ ملموس ليكون قدوةً وأسوةً كما وصفه الله -عز وجل-: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

وقد لخَّصَ النَّبيُّ ﷺ دعوتَه وحصرها في قوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»؛ لأن الأخلاق شملت سائر الدِّين، فهي ذاتُ ارتباطٍ وثيقٍ بالعقيدةِ، والعبادةِ، والمعاملةِ، والسُّلوكِ، والعاداتِ، ولها تأثير مُباشر في إيمان

المرء وعقيدته، قال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً».

فَحسن الخلق مِن كمال الإيمان، وهو مِن أكبر أسباب دخول الجنَّة، قال ﷺ -وقد سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة- فقال: «تقوى الله وحسن الخلق».

وكلما كان الرجلُ حَسَنَ الخُلق كلما كان أحب وأقرب إلى الرسول ﷺ: «وإنّ من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسِنكم أخلاقاً».

وقد جَعل الرسولُ ﷺ سُوء الخلق من خصال النِّفاق فقال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»، فجعل هذه المساوئ الأخلاقية دليلاً على النِّفاق، فالأخلاقُ الإسلاميّة جزءٌ لا يتجزأ من عقيدة المسلم: «إن الحياء والإيمان قُرِنا جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»، وقال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ...»، والزنا من الفواحش الأخلاقية.

إنَّ اللهَ -تعالى- قبل أن يأمر عبادَه بالأخلاق الحسنة وينهاهم عن الأخلاق السيئة يبدأ ندائه لهم بالإيمان: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾ [الحجرات:١١]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب:٧٠]، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة:١]، وهكذا... فالقرآن مليء بالأمر بهذه الأخلاق التي دعا إليها المؤمنين وترجمها ﷺ واقعاً حيّاً بين النّاس، فكان بحقٍّ ترجمةً عمليَّةً لأخلاق القرآن، حتى عند القتل والقصاص والذبح الحلال أُمر المسلم بالإحسان: «إذا قتلتم فأحسنوا القِتلةَ، وإذا ذَبحتم فأحسنوا الذَّبح، ولْيُحِدَّ أحدكم شفرتَه ولْيُرِحْ ذَبيحتَه».

وكان من أخلاقِه ﷺ أنّه لا يغدر، وكان يجابه أعداءَه وجهاً لوجه بعد أن يدعوهم إلى الإسلام، ويُقيم الحجَّة عليهم، وكان يوصي قادةَ الجيوش ألا يقتلوا طفلاً، ولا امرأةً، ولا شيخاً، ولا يقطعوا شجرةً، وكان ﷺ رحمةً مهداةً للعالمين؛ كما وصفه ربه -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، عفا عمّن ظلمه، وأحسن إلى من أساءَ إليه، وعفا عن أهل مكة، وأهل الطائف الذين آذوه وأخرجوه.

فأين أولئك الغلاة القتلة [1] الذين لا يفرقون بين كافر ومسلم؟ ومحارب ومستأمن؟ وصغير وكبير؟ فيقتلون قتلاً عشوائياً بلا رحمة ولا هوادة!!

وأول ما يقتلون -في ذلك- إلا أنفسهم، وبطريقة بشعة مرعبة فيها إحراق، وتشويه، وتمزيق، ومُثْلة، فهل نحن سائرون على أخلاق رسول الله ﷺ، وأخلاق القرآن سِلْماً، وحرباً، رخاءً، وشدةً لنفوز مع الفائزين من أهله الذين هم أهل الله وخاصته؟!

جَنَّب الله أرض الحرمين خاصة، والإسلام عامّة كل فتنة وبلاء، وكفى الله المسلمين شرور أعدائهم من الكفار والمنافقين والغلاة الخارجين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على عبده ونبيه محمد ﷺ.

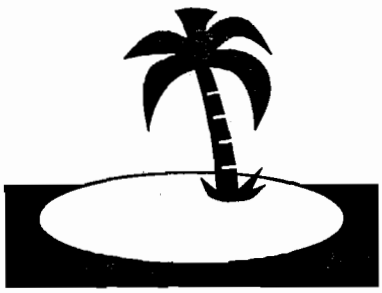

(١) أصحاب التفجيرات في أرض الحرمين -صانها الله من الفتن ما ظهر منها وما بطن- بل أرض المغرب والمشرق -جميعاً-، فالواجب التصدي لدعاة هذا الفكر التكفيري التفجيري ومنعهم من استغلال الإسلام لضرب الإسلام في أرض الإسلام، والله غالب على أمره.

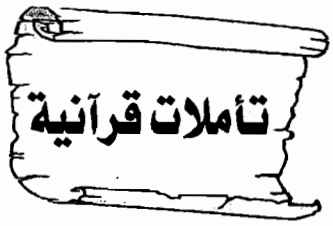

تغيـــــيرٌ .. فتغيـــــير

• بقلم: الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري

إنَّ الواقع المرَّ الذي تَعِيشُـهُ أُمتنـا الإسلامية -عرباً وعجماً- منذ عُقـود ، وعقـود: يحيِّرُ ذوي الألبـاب، ويَـذْهَـلُ - بـه - فِعـلاً- صـاحب الرُّشـد والصواب ...

ذلكم أنَّ هذه الأمةَ -الّتي تَحملُ مـن التـاريخ النَّـاصع الأغـرّ مـا تَنـوءُ بأخبـاره المجلَّـدات السِّـمان - تقـفُ اليـوم-فوا أسفي الشديد- على هامش الأحـداث؛ فارغـةَ المضمـون، خاويـة الوِفـاض . . . إلا مـن بقايـا -هنـا وهنـاك- تَستَنهضُ الهِـمـمَ، وتُطـاول -بجـهدٍ وجـهادٍ- الـذُّرى والقِمـمَ .. ولكـن؛ أنّـى لهـا ذلـك -وصـولاً، أو حصـولاً-، وهـي تسبحُ ضـدَّ التيـار الغـامِس؛ في ظـلامٍ دامـس، وليـل طامس!؟

ولكـن هذا الواقع العَسِـر المَـضّ -لـن يكـون -بـإذن الله- في يـومٍ- سـبباً تنخلـعُ بـه الأمّـةُ -بكُلِّيتـها- عـن أصـل استقرارها، وقاعدة بقائها . . بل ستستمرّ

-بحفظ الله- لها، وتستقرّ -بتوفيق الله- إيَّاها.

ولن يكون لهذا الاستقرار -فضلاً عن ذيّاك الاستمرار- وجودٌ -فضلاً عن ديمومة- إلا بالأخذ بعوامل البقاء، المبنيّة على التغيير، والقائمةُ على التغيُّر... تغييرٌ في الواقع، وتغيُّرٌ في المستقبل: ينتج عن ذلك -كلِّه- تغييرٌ من الله -تعالى- بمنّةٍ ربَّانية، ومنحة إلهية...

ولقد رأيت -في هذا المقام- كتابةً رائقةً؛ دبَّجتها براعة كاتبٍ أديب، ومنشئٍ أريب؛ وضع يدَه على الجُرْح، وعَرَفَ -في خِضَمِّ تيه الأفكار، وتقلُّب الأوضاع- الدواء الشافي؛ الّذي يجب -وجوباً محتماً- أن يعرفه كلُّ من رضي بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبيّاً ورسولاً؛ بغضِّ النظر عن مقدار قُربهِ أو بُعده من هذا الأصل الراسخ -علماً أو عملاً-.

وهذا الذي أقوله -كلُّه- مُنطلِقٌ -أصلاً-، وراجعٌ -فرعاً- إلى حقيقة فهم وتطبيق قولِ ربِّ العالمين -في كتابه المبين-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]؛ تغييرٌ مبنيٌ على تغيير؛ صادرٌ عنه، وراجعٌ إليه ....

يقول الأستاذ الفاضل الأخ الصَّديق إبراهيم العجلوني -سدده الله بتقواه- تحت عنوان[1] (حالُنا في العِلَّة .. ونحن الملومون): «نقرأ في كتاب «الاعتبار» -لأُسامة بن منقذ- أن الفِرِنجة استولوا على نابُلُس، وأنه قد كانت لهم متاجرُ في قلب المدينة يبيعون فيها الخمور، وأنه ربما لم يكن يفصل بين بعض بيوت المسلمين ومراكز الفِرِنجة إلا الجادّات الضيقة! وهذا يعني أن القوم كانوا ملابسين لنا على نحوٍ قد يدفعُ صاحب النظر الضيق إلى الظنّ بأنهم لن يرحلوا يوماً! ثم ما هي إلا دورةٌ زمنيةٌ خاطفةٌ فإذا هم في طوابير ممتدة نحو السواحل الفلسطينية؛ ترهقهم ذلّة الانكسار بعد أن كانوا جبابرة، وإذا

(١) في صحيفة (الرأي) الأردنية: ١٠/٥/٢٠٠٣ م.

هم يغادرون أرضنا راغمين، بعد طول احتلال وتمكين ...

لقد استغلوا تمزُّقَنا وضَعفنا -أولَ مرة- واستيلاءَ الوهن علينا، فكان ما كان من تحالفاتهم يوم تَداعَوْا علينا في حروب الفِرِنجة المتتابعة، وحملاتهم المتلاحقة.

ولولا ذلك الضعف وذاك التمزُّق، وذلك الوهن: لَمَا كان لهم أن يطأوا شبراً من بلادنا.

وليس يختلف يومنا عن أمسنا، إذْ حالنا هي علّةُ ما نتعرضُ له من احتلال، فإذا هي تغيّرت -أقصد: إذا غيَّرنا نحن ما بأنفسنا، وأخذنا بأسباب الوحدة والقوة- فإن من منطق الأشياء أنْ لا يكون لهم علينا سبيلٌ، وأن نكون في مَنَعَةٍ من أمرنا ترهبُهم، تماماً كما كان من شأن العرب المسلمين أيام صلاح الدين، وقبل ذلك بقرون حين كانت أوروبا تطلب ودَّ الخلفاء المسلمين، وتخشى غضبهم، وتلتمس إلى رضاهم الأسباب.

المسألة -إذاً- مرهونة بنا نحن العرب والمسلمين، لا بالفِرِنجة قديماً والأمريكان حديثاً.

فأن نُطَهِّر أنفسنا وصفوفنا، وأن نكون المؤمنين الأعزَّة الذين عرفَتْهُم بدرٌ، وأُحُدٌ، والخندق، واليرموك، ... ذلكم هو النهجُ الواضحُ، والمحجةُ البيضاءُ.

﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾».

قلتُ: وهذا هو دواء الداء، وبَلْسَمُ الشفاء.

واللهُ المسدِّدُ.

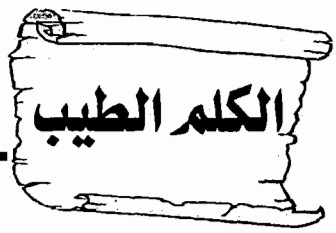

الحلقة الثانية

مدى الاحتجاج بالأحاديث النبوية في الشؤون الطبية والعلاجية

• بقلم: الشيخ أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

٦- وردت أحاديث تدل جزماً على أن الطب النبوي وحي من عند الله؛ ففي «صحيح البخاري» عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-: أن رجلاً أتى للنبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه، فقال: «اسقه عسلاً»، ثم أتاه الثانية، فقال: «اسقه عسلاً»، ثم أتاه الثالثة، فقال: «اسقه عسلاً»، ثم أتاه، فقال: فعلت، فقال: «صدق الله، وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً»؛ فسقاه؛ فبرأ.

قال الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: «فهذا الذي وصف له النبي ﷺ كان استطلاق بطنه عن تخمة أصابته عن امتلاء، فأمره بشرب العسل؛ لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة والأمعاء؛ فإن العسل فيه جلاء ودفع للفضول، وكان قد أصاب المعدة أخلاط لزجة؛ تمنع استقرار الغذاء فيها لِلُزُوجَتِها، فإن المعدة لها خمل كخمل المنشفة، فإذا علقت بها الأخلاط اللزجة؛ أفسدتها وأفسدت الغذاء، فدواؤها بما يجلوها من تلك الأخلاط، والعسل من أحسن ما عولج به هذا الداء، لا سيما إنْ مُزِج بالماء الحار.

وفي تكرار سقيه العسل معنىً طبي بديع، وهو: أن الدواء يجب أن يكون له مقدار كمية بحسب حال الداء، إن قصر عنه؛ لم يزله بالكلية، وإن جاوزه؛ أوهن القوى، فأحدث ضرراً آخر، فلما أمره أن يسقيه العسل، سقاه مقداراً لا يفي بمقاومة الداء؛ ولا يبلغ الغرض، فلما أخبره؛ علم أن الذي سقاه لا يبلغ مقدار الحاجة، فلما تكرر ترداده إلى النبي ﷺ؛ أكد عليه المعاودة؛ ليصل إلى المقدار المقاوم للداء، فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء؛ برىء -بإذن الله-.

واعتبار مقادير الأدوية وكيفياتها ومقدار قوة المرض والمريض من أكبر قواعد الطب.

وفي قوله ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك»؛ إشارة إلى تحقيق نفع هذا الدواء، وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء في نفسه، ولكن لكذب البطن وكثرة المادة الفاسدة فيه، فأمره بتكرار الدواء لكثرة المادة.

وليس طبه ﷺ كطب الأطباء؛ فإن طب النبي ﷺ متيقن قطعي إلهي، صادر عن الوحي ومشكاة النبوة وكمال العقل، وطب غيره أكثره حدس وظنون وتجارب.

ولا يُنكَر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة؛ فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول واعتقاد الشفاء به وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان؛ فهذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور إن لم يُتلَقَّ هذا التلقي؛ لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها، بل لا يزيد المنافقين إلا رجساً إلى رجسهم، ومرضاً إلى مرضهم، وأين يقع طب الأبدان منه؟! فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة، كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة والقلوب الحية؛ فإعراض الناس عن طب النبوة؛ كإعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع، وليس ذلك لقصور في الدواء، ولكن لخبث الطبيعة وفساد المحل، وعدم قبوله، وبالله التوفيق».

٧- ولذلك كله دندن الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله- كثيراً حول هذه القضيَّة، وانتصر لها بالحجة والبرهان وبيَّنهاأكمل بيان، ومما قاله:

«فهذه فصول نافعة في هديه ﷺ في الطب الذي تطبَّب به، وَوَصَفَه لغيره، وبُيِّنُ ما فيه من الحكمة التي تعجز عقول أكثر الأطباء عن الوصول إليها، وأن نسبة طبهم إليها كنسبة طب العجائز إلى طبهم»[1].

«ونحن نقول: إن ها هنا أمراً آخر: نسبة طب الأطباء إليه؛ كنسبة طب الطرقية والعجائز إلى طبهم، وقد اعترف به حذاقهم وأئمتهم، فإن ما عندهم من العلم بالطب منهم من يقول: هو قياس، ومنهم من يقول: هو تجربة، ومنهم من يقول: هو إلهامات ومنامات وحدس صائب، ومنهم من يقول: أخذ كثير منه من الحيوانات البهيمية، كما نشاهد السنانير إذا أكلت ذوات السموم، تعمد إلى السراج؛ فتلغ في الزيت تتداوى به، وكما رُئيت الحيات إذا خرجت من بطون الأرض، وقد عشيت أبصارها، تأتي إلى ورق الرازيانج؛ فتمر عيونها عليها. وكما عُهد من الطير الذي يحتقن بماء البحر عند انحباس طبعه، وأمثال ذلك مما ذكر في مبادئ الطب».

«وأين يقع هذا وأمثاله من الوحي الذي يوحيه الله إلى رسوله بما ينفعه ويضره؛ فنسبة ما عندهم من الطب إلى هذا الوحي؛ كنسبة ما عندهم من العلوم إلى ما جاءت به الأنبياء، بل ها هنا من الأدوية التي تشفي من الأمراض ما لم يهتد إليها عقول أكابر الأطباء، ولم تصل إليها علومهم وتجاربهم وأقيستهم؛ من الأدوية القلبية والروحانية، وقوة القلب، واعتماده على الله، والتوكل عليه، والالتجاء إليه، والانطراح والانكسار بين يديه، والتذلل له، والصدقة، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، والإحسان إلى الخلق، وإغاثة الملهوف، والتفريج عن المكروب؛ فإن هذه الأدوية قد جَرَّبْتها

(١) «صحيح طب النبوي» (ص ٣٥).

الأمم على اختلاف أديانها ومللها فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علم أعلم الأطباء ولا تجربته ولا قياسه.

وقد جربنا نحن وغيرنا من هذا أموراً كثيرة، ورأيناها تفعل ما لا تفعل الأدوية الحسية، بل تصير الأدوية الحسية عندها بمنزلة أدوية الطرقية عند الأطباء، وهذا جارٍ على قانون الحكمة الإلهية ليس خارجاً عنها، ولكن الأسباب متنوعة؛ فإن القلب متى اتصل برب العالمين وخالق الداء والدواء ومدبر الطبيعة ومصرفها على ما يشاء كانت له أدوية أخرى غير الأدوية التي يعانيها القلب البعيد منه المعرض عنه، وقد علم أن الأرواح متى قويت، وقويت النفس والطبيعة؛ تعاوَنا على دفع الداء وقهره، فكيف ينكر لمن قويت طبيعته ونفسه وفرحت بقربها من بارئها وأنسها به، وحبها له وتنعمها بذكره، وانصراف قواها كلها إليه، وجمعها عليه واستعانتها به، وتوكلها عليه: أن يكون ذلك لها من أكبر الأدوية؛ وأن توجب لها هذه القوة دفع الألم بالكلية، ولا ينكر هذا إلا أجهل الناس، وأغلظهم حجاباً، وأكثفهم نفساً، وأبعدهم عن الله وعن حقيقة الإنسانية، وسنذكر -إن شاء الله- السبب الذي به أزالت قراءة الفاتحة داء اللدغة عن اللديغ التي رقي بها، فقام حتى كأن ما به قَلَبَةٌ»[1].

«وسنزيد هذا المعنى -إن شاء الله تعالى- إيضاحاً وبياناً عند الكلام على التداوي بالرقى، والعوذ النبوية، والأذكار، والدعوات، وفعل الخيرات، ونبين أن نسبة طب الأطباء إلى هذا الطب النبوي؛ كنسبة طب الطرقية والعجائز إلى طبهم، كما اعترف به حذاقهم وأئمتهم، ونبين أن الطبيعة الإنسانية أشد شيء انفعالاً عن الأرواح، وأن قوى العوذ، والرقى، والدعوات، فوق قوى الأدوية، حتى إنها تبطل قوى السموم القاتلة»[2].

(١) المصدر السابق (ص ٤١-٤٣).

(٢) المصدر السابق (ص ٧٧).

«وبالجملة: فطب الطبائعية وعلاجهم بالنسبة إلى العلاج النبوي؛ كطب الطرقية بالنسبة إلى طبهم، بل أقل، فإن التفاوت الذي بينهم وبين الأنبياء أعظم وأعظم من التفاوت الذي بينهم وبين الطرقية بما لا يدرك الإنسان مقداره، فقد ظهر لك عقد الإخاء الذي بين الحكمة والشرع، وعدم مناقضة أحدهما للآخر، والله يهدي من يشاء إلى الصواب، ويفتح لمن أدام قرع باب التوفيق منه كلَّ باب، وله النعمة السابغة، والحجة البالغة»[1].

«وقد تقدم: أن طبّ الأطباء بالنسبة إلى طبِّ الأنبياء، أقل من نسبة طب الطُّرقية والعجائز إلى طب الأطباء؛ وأن بين ما يلقى بالوحي، وبين ما يلقى بالتجربة، والقياس -من الفرق- أعظم مما بين القَدَمِ والفَرْق!

ولو أن هؤلاء الجهَّال وجدوا دواء منصوصاً عن بعض اليهود والنصارى والمشركين -من الأطباء-: لتلقوه بالقبول والتسليم، ولم يتوقَّفوا على تجربته.

نعم؛ نحن لا ننكر أن للعادة تأثيراً في الانتفاع بالدواء وعدمه؛ فمن اعتاد دواءً وغذاءً: كان أنفع له، وأوفق ممن لم يعتده، بل ربما لم ينتفع به مَن لم يعتده.

وكلام فضلاء الأطباء -وإن كان مطلقاً- فهو بحسب الأمزجة والأزمنة، والأماكن والعوائد.

وإذا كان التقييد بذلك لا يقدح في كلامهم ومعارفهم، فكيف يقدح في كلام الصادق المصدوق، ولكن نفوس البشر مركبة على الجهل والظلم، إلا من أيده الله بروح الإيمان، ونوّر بصيرته بنور الهدى»[2].

«قد أتينا على جملة نافعة من أجزاء الطبِّ العلميِّ والعملي، لعل الناظر لا يظفر بكثير منها إلا في هذا الكتاب، وأرينك قرب ما بينها وبين الشريعة، وأن الطب النبوي: نسبة طبٍّ

(١) المصدر السابق (ص ٢٣٨).

(٢) المصدر السابق (ص ٤٤٢).

الطبائعيين إليه، أقلّ مِن نسبة طب العجائز إلى طبهم.

والأمر فوق ما ذكرناه، وأعظم مما وصفناه بكثير، ولكن: فيما ذكرناه تنبيه باليسير على ما وراءه، ومن لم يرزقه الله بصيرة على التفصيل، فليعلم ما بين القوة المؤيَّدة بالوحي من عند الله، والعلوم التي رزقها الله الأنبياء، والعقول والبصائر التي منحهم الله إياها؛ وبين ما عند غيرهم.

ولعل قائلاً يقول: ما لهدي الرسول ﷺ، وما لهذا الباب، وذكر قوى الأدوية، وقوانين العلاج، وتدبيرِ أمر الصحة؟

وهذا من تقصير هذا القائل في فهم ما جاء به الرسول ﷺ، فإن هذا وأضعافه، وأضعاف أضعافه: من فهم بعض ما جاء به، وإرشاده إليه، ودلالته عليه، وحسن الفهم عن الله ورسوله: مَنٌّ يَمُنُّ الله به على من يشاء مِن عباده.

فقد أوجدناك أصول الطب الثلاثة في القرآن، وكيف تنكر أن تكون شريعة المبعوث بصلاح الدنيا والآخرة مشتملة على صلاح الأبدان؛ كاشتمالها على صلاح القلوب؛ وأنها مرشدة إلى حفظ صحتها، ودفع آفاتها؛ بطرق كلية: قد وُكِل تفصيلها إلى العقل الصحيح، والفطرة السليمة؛ بطريق القياس والتنبيه والإيماء؛ كما هو في كثير من مسائل فروع الفقه، ولا تكن ممن إذا جهل شيئاً عاداه.

ولو رزق العبد تضلعاً من كتاب الله وسنة رسوله، وفهماً تاماً في النصوص ولوازمها: لاستغنى بذلك عن كلّ كلام سواه، ولاستنبط جميع العلوم الصحيحة منه.

فمدار العلوم كلها على معرفة الله وأمره وخلقه، وذلك مسلَّم إلى الرسل -صلوات الله عليهم وسلامه-؛ فهم أعلم الخلق بالله وأمره وخلقه وحكمته في خلقه وأمره.

وطبُّ أتباعهم: أصحُّ وأنفع من طب غيرهم. وطبُّ أتباع خاتمهم وسيدهم وإمامهم: محمد بن عبد الله

-صلوات الله وسلامه عليه وعليهم-: أكمل الطب وأصحّه وأنفعه.

ولا يَعْرِفُ هذا إلا من عرف طبَّ الناس؛ سَوَّاهم وطِبَّهم، ثم وازن بينهما، فحينئذ: يظهر له التفاوتُ.

وهم أصحُّ الأمم عقولاً وفطراً، وأعظمهم علماً، وأقربهم في كل شيء إلى الحقّ؛ لأنهم خيرة الله من الأمم، كما أن رسولهم خيرته من الرسل، والعلم الذي وهبهم إياه، والحلم والحكمة؛ أمرٌ لا يدانيهم فيه غيرهم.

وقد روى الإمام أحمد في «مسنده» من حديث بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنتم توفون سبعين أمة؛ أنتم خيرها وأكرمها على الله**».

فظهر أثر كرامتها على الله -سبحانه-: في علومهم وعقولهم، وأحلامهم وفطرهم، وهم الذين عرضت عليهم علوم الأمم قبلهم وعقولهم، وأعمالهم ودرجاتهم؛ فازدادوا بذلك علماً وحلماً وعقولاً، إلى ما أفاض الله -سبحانه وتعالى- عليهم: من علمه وحلمه.

ولذلك كانت الطبيعة الدموية لهم، والصفراوية لليهود، والبلغمية للنصارى.

ولذلك غلب على النصارى: البلادة، وقلة الفهم والفطنة، وغلب على اليهود: الحزن والهم والغم والصغار، وغلب على المسلمين: العقل والشجاعة، والفهم والنجدة، والفرح والسرور.

وهذه أسرار وحقائق إنما يعرف مقدارها: مَن حَسُن فهمه، ولَطُف ذهنه، وغزر علمه؛ وعرف ما عند الناس. وبالله التوفيق»[1].

(١) (ص٤٩٩-٥٠١).

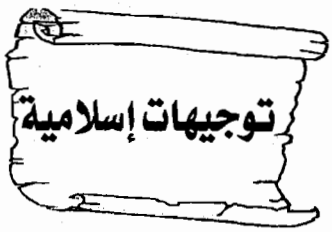

كلمات إلى طلاب العلم

• بقلم: أبي مسلم مجدي بن عبدالوهاب الأحمد

هذه كلمات من قلبٍ إلى قلبٍ؛ من قلبٍ يمتلئ حزناً على ما يحدث بين طلاب العلم من خصومات ومجادلات وشتم وهجر.

من قلب يمتلئ آلاماً لما في صفوف المسلمين من فُرقة واختلاف ونزاع.

من قلب يتألم لكثرة الحيارى المتخبطين المضطربين في الحق وأهله.

إلى قلب يعي هذه الكلمات.

إلى قلب يحمل المحامل الحسنة.

إلى قلب يشعر بألم لما يحدث في أوساط طلاب العلم.

وهذا لكي نسعى إلى توحيد الصف والكلمة على ضوء كتاب ربنا -عز وجل- وسنة نبينا ﷺ ومنهج سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم-.

* كلمة في النِّية:

قال علي بن فضيل لأبيه: يا أبتِ ما أحلى كلام أصحاب محمد ﷺ.

فقال: يا بني! أتدري لمَ حلا؟! قال: لا، يا أبت. قال: لأنهم أرادوا الله -عز وجل- به[1].

وقال عبدالله بن محمد بن منازل: قيل لحمدون بن أحمد: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟! قال: لأنهم تكلموا لعزِّ الإسلام، ونجاة النُّفوس، ورضاة الرحمن، ونحن نتكلَّم لعزِّ النَّفس، وطلب الدُّنيا، وقبول الخلق.

(١) بواسطة رسالة «سبائك الذهب في بيان أصول الطلب» (ص١٥)، لأخي أبي محمد بن عيسى -حفظه الله-.

*** كلمة في النُّصح والنَّصيحة:**

قال رسول الله ﷺ: «الدِّين النَّصيحةُ»، قلنا: لمن؟ قال: «للهِ ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتهم»[1].

ومن أنفس ما استفدته من شيخي الفاضل علي بن حسن بن علي ابن عبدالحميد الحلبي الأثري -حفظه الله، وسدد خطاه- قوله لي: «يا أخي إن رأيت مني خطأً فعليك أن تنبهني به؛ فإن كان حقّاً خطأً رجعت عنه، وإن لم يكن خطأ ولكنك حسبته خطأً بينتُ لك الصواب[2].

ويا أخي لا تكتم ما ترى، وتحسب أنه خطأ في قلبك، فلا تنصحني به، فإني بشر أخطئ، وسأخطئ، وسأخطئ، فإن كتمت تراكمت الأخطاء حتى تُصبح البغضاء بيني وبينك، وهذا لا أحبه ولا أريده» اهـ.

نعم؛ إنه منهج في النُّصح جميل جدّاً، أتمنى أن يُنشر في صدور الناس جميعاً؛ لكي يكون بينهم الحبُّ، والود، والسعادة.

*** كلمة في تحري الصدق:**

قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصّدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البرّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّة، وما يزالُ الرَّجلُ يصدُقُ ويتحرى الصِّدق حتى يُكتب عند الله صديقاً، وإيّاكم والكذبَ؛ فإنَّ الكذب يهدي إلى الفُجور، وإن الفُجور يهدي إلى النَّار، وما يزال الرَّجل يكذب ويتحرى الكذبَ حتى يُكتبَ عند اللهِ كذّاباً»[3].

قال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر:٢٨].

---

(١) رواه مسلم برقم (٥٥).

(٢) فليتنبه الناصح لهذه الكلمة، إذ كثير من الناصحين يظن أنه مصيب في نصحه، وإن لم يستجب المنصوح لنصحه غضب وفعل وفعل؛ ولكن على المنصوح أن يبين للناصح وجه الصواب الذي يعتقده، ولا يتركه بعد نصحه مستمراً على الأمر الذي نصح به، فإن هذا يأتي بالشحناء والبغضاء والعداوة.

إضافة:

على الناس فيما بينهم أن يقدروا طبائع الناس وغرائزهم، وأنهم ليسوا ملائكة، ولا أنبياء، وعلى هذا فلا يطمعوا أن لا يجدوا زلة وهفوه من إخوانهم، بل سيجدون زلات وهنات و . . .

(٣) رواه مسلم برقم (٢٦٠٧).

(١٠٥) وهذا لفظه، والبخاري برقم (٦٠٩٤).

وقال -تعالى-: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ [طه:٦١].

وقال -تعالى-: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٦].

*** كلمة في الحسد والحاسدين:**

للأسف الشديد أن يوجد في طلاب العلم من يتصف بالحسد.

وللأسف الشديد -أيضاً- أن يجعل سعيه لإزالة النّعمة عن المحسود ديناً يَدين لله -عز وجل- به؛ لكي يُرى بين الناس أن همه الإسلام والمسلمون والحفاظ عليهما والسعي لحمايتهما.

قال رسول الله ﷺ: «إيّاكم والظنَّ؛ فإنَّ الظّنَّ أكذب الحديث، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تنافسوا، ولا تدابروا[1]، وكونوا عباد الله إخواناً» [رواه البخاري].

*** كلمة في الفتن:**

ما أكثر الخائضين في الفتن، بل وما أكثر مُثيري الفتن!!

قال -تعالى-: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال:٢٥]

وقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنّا نعوذ بك أن نرجعَ على أعقابنا، أو نُفتن عن ديننا» [رواه البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٢٩٣)].

*** كلمة في الفرقة والاختلاف:**

قال -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

---

(١) «النجش»: الزيادة في الثمن لا لرغبة في الشراء، ولكن ليخدع غيره.

«التنافس»: الرغبة في الشيء والانفراد به.

«التدابر»: الإعراض عن أخيك.

بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران:١٠٢-١٠٦]، وقال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «الاختلاف المذموم من طرفين، يكون سببه تارة فسادُ النيَّة لما في النفوس من البغي والحسد، وإرادة العلو في الأرض بالفساد، ونحو ذلك؛ فيوجب لذلك ذمَّ قول غيره، أو فعله، أو غلبَتَه؛ ليتميز عليه، أو يُحبُّ قولَ من يوافقه في نسب أو مذهب أو صداقة، ونحو ذلك، لما في قيام قوله من حصول الشرف والرئاسة له، وما أكثر هذا في بني آدم، وهذا ظلم.

ويكون سببه تارة أخرى جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحقّ؛ في الحكم أو في الدليل، ولمن كان عالماً بما مع نفسه من الحقّ حكماً ودليلاً»[1].

*** كلمة في الحرص على إدخال الناس في المنهج الحق لا إخراجهم منه:**

لا بدَّ على طلاب العلم أن يحرصوا على إدخال الناس في المنهج الحقّ وإرشادهم إليه، لا تنفيرهم منه وطردهم عنه تحت شعار الحرص على المنهج ممَّن يكون فيه شبهات.

ويا سبحان الله! كأن أصحاب هذا الشعار صَفَوْا من كلِّ الشبهات وأصبحوا في درجة الملائكة والأنبياء.

ويا أصحاب هذا الشعار عليكم أنفسكم، وإن استطعتم أن تصلحوا ما وقع فيه إخوانكم من أخطاء وشبهات

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٣٧).

فـــافعلوا دون إخـــراج وطـــرد -كالحزبيين-، وإلا فـاتركوا هـؤلاء لمـن يستطيع أن يؤثر فيـهم ويعالجـهم بـالتي هي أحسن للتي هي أقوم.

قـال رسـول الله ﷺ: «إنَّمـا بعثتُـم مُيسّرين ولم تُبعثـوا مُعسّـرين». [رواه البخاري (٢٢٠)، وهذا لفظه، ومسلم(٢٨٤)]

*** كلمة في تلقيب الناس، وأنها صفة أهل البدع:**

نهج شباب منا -وللأسف الشديد- منـهج تلقيـب النـاس بصفـات ليسـت فيهم، لينفروا عنهم.

وهذا الصنيع فيه شبه مـن أصحـاب (الفكـر التكفـيري) [1]؛ تجـد أحدهـم يجلس المجـالس لا هـمَّ لـه إلا التكفـير: هذا كافر، هذه كافرة فاجرة، هذه الأمـة كـافرة، وهكـذا، حتـى لا يـرى سـوى نفسه ومَـن يؤيـده علـى رأيـه مـن أمـة الإسلام وغيرهم كفاراً[2].

وهكـذا هؤلاء الشـباب هداهـم الله -عز وجل- يجلس المجالس ولا هَـمَّ لـه إلا: هذا قطبي وهذا سـروري[3]، وهـذا مـن أهـل البـدع، وهـذا مـن أصحـاب الأهواء، وهذا ضال مضل، وهذا يلحق بهم، وهذا . . .، حتـى لا يـرى سـوى نفسه ومن يؤيده على رأيه على المنـهج الحقّ وغيرهم منحرفين ضالين . .

قـــال -تعـــالى-: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٥].

*** كلمة في النظرة البعيدة لا القاصرة:**

عـن جـابر بـن عبـدالله -رضـي الله عنه- قـال: أتـى رجـلٌ رسـول الله ﷺ بالجعرانة مُنْصَرَفَه مِن حُنين، وفي ثـوبِ بلال فِضَّة ورسولُ اللهِ ﷺ يقبضُ منـها

---

(١) مع الفـرق بـين درجـات الألقـاب؛ إذ ألقـاب هـؤلاء الشـباب الـتي يسـتخدمونها لا تصل إلى التكفير، أما الآخرون فتصل وتصل.

(٢) ولقد التقيـتُ بـأحدهم وحـدث بيـني وبينـه نقـاش، فقـال في أثنائـه: خمسـة بالمئـة مسلمون في موريتانيا والباقي كفار.

نعوذ بالله من هذه الأفكار!!

(٣) وهـذا مـع إيمـاني بـأن أفكـار (سـيد قطـب) و(محمـد سـرور) أفكـار باطلـة يجـب التحذير منها؛ ولكن أن يوصف بها أهل الحـق لأخطاء وقعوا فيها، فهذا -والله - مـن أشـنع الشنائع، نعوذ بالله من ذلك.

يعطي النّاس. فقال: يا محمد، اعدِل! قال: «ويلك، ومَن يعدل إذا لم أكن أعدل؟! لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل». فقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: دعني يا رسول الله أقتل هذا المنافق. فقال: «معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السَّهم من الرَّمية». [رواه مسلم (١٠٦٣)]

*** كلمة للمتعصبين:**

قال الإمام مالك -رحمه الله-: «ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك؛ إلا النبي ﷺ»[١].

وقال الإمام الشافعي -رحمه الله-: «وأما أن نخالف حديثاً عن رسول الله ﷺ ثابتاً عنه، فأرجو أن لا يؤخذ ذلك علينا -إن شاء الله-، وليس ذلك لأحد؛ ولكن قد يجهل الرجل السُّنَّة فيكون له قول يخالفها، لا أنه عَمَدَ خِلافها، وقد يغفل المرء ويخطئ في التأويل»[٢].

*** كلمة للمكثرين من الكلام:**

قال النبي ﷺ: «شرار أُمتي الثَّرثارون، المتشدّقون، المتفيهقون، وخِيار أُمتي أحاسنُهم أخلاقاً»[٣].

وقيل: إن مَن يُكثِرُ الكلامَ يَسرِقُ عُمُرَك، ويضيع أوقاتك . . .

فاحذروا واحذروا . . .

*** كلمة في كيفية الاستفادة من مجالس العلماء:**

قال أبو محمد بن حزم -رحمه الله-: «إذا حضرتَ مجلس علم فلا يكن حضورك إلا حضور مستزيد علماً وأجراً، لا حضور مستغنٍ بما عندك، طالباً عثرة تُشيعُها، أو غريبة تُشنعها، فهذه أفعال الأرذال الذين لا يفلحون في العلم أبداً.

فإذا حضرتها على هذه النية، فقد حصلت خيراً على كل حال، وإن لم تحضرها على هذه النية، فجلوسك في منزلك أروح لبدنك وأكرم لخُلقك، وأسلم لدينك».

---

(١) بواسطة كتاب «صفة صلاة النبي ﷺ» ص (٣٩) للشيخ الألباني -رحمه الله-.

(٢) «الرسالة» ص (٢١٩).

(٣) رواه الترمذي (٢٠١٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٣٠٨) وصححه الألباني -رحمه الله-.

وقال أيضاً: «وصفة سؤال المتعلم؛ أن تسأل عمّا لا تدري لا عمّا تدري، فإن السؤال عمّا تدريه سخف، وقلة عقل، وشغل لكلامك، وقطع لزمانك بما لا فائدة فيه -لا لك ولا لغيرك-، وربما أدى إلى اكتساب العداوات وهو -بَعْدُ- عينُ الفضول؛ فيجب عليك أن لا تكون فضولياً، فإنها صفة سوء»[1].

*** كلمة في الهجر:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: في مسائل إسحاق بن منصور، وذكره الخلال في «كتاب السنة» في باب مجانبة من قال: القرآن مخلوق-، عن إسحاق أنه قال لأبي عبدالله: من قال: القرآن مخلوق؟! قال: ألحق به كل بلية. قلت: فيظهر العداوة لهم أم يُداريهم؟ قال: أهل خراسان لا يقوون بهم.

وهذا الجواب منه مع قوله في القدرية: لو تركنا الرواية عن القدرية لتركناها عن أكثر أهل البصرة، ومع ما كان يعاملهم به في المحنة من الدّفع بالتي هي أحسن ومخاطبتهم بالحجج، يفسر ما في كلامه وأفعاله من هجرهم، والنهي عن مجالستهم ومطالبتهم، حتى هَجَر -في زمن- غير ما أعيان من الأكابر، وأمر بهجرهم لنوع ما من التجهم.

فإن الهجر نوع من أنواع التعزير، والعقوبة نوع من أنواع الهجر التي هي ترك السيئات، فإن النبي ﷺ قال: «المُهاجر مَن هجر السيئات»[2]، وقال: «مَن هجر ما نهى الله عنه»[3]، فهذه هجرة التقوى إذا كانت هجراً للسيئات، كما قال -تعالى-: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَـٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٨-٦٩]، فبين -سبحانه- أن المتقين خلاف الظالمين، وأن المأمورين بهجران مجالس الخوض في آيات الله هم المتقون.

---

(١) بواسطة رسالة «سبائك الذهب» ص(٤٢-٤٣).

(٢) رواه ابن حبان بهذا اللفظ (١٠٩٦).

(٣) رواه البخاري (١٠).

وتارة تكون من نوع الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود وهو عقوبة من اعتدى وكان ظالماً.

وعقوبة الظالم وتعزيره مشروط بالقدرة؛ فلهذا اختلف حكم الشرع في نوعي الهجرتين، بين القادر والعاجز، وبين قلّة نوع الظلم المبتدع، وكثرته وقوته وضعفه، كما يختلف الحكم بذلك في سائر أنواع الظلم من الكفر والفسوق والعصيان، فإن كل ما حرمه الله فهو ظلم؛ إما في حق الله فقط، وإما في حقّ عباده، وإما فيهما، وما أمر به من هجر الترك والانتهاء، وهجر العقوبة والتعزير، إنما هو إذا لم يكن فيه مصلحة دينية راجحة على فعله، وإلا فإذا كان في السيئة حسنة راجحة لم تكن سيئة، وإذا كان في العقوبة مفسدة راجحة على الجريمة لم تكن حسنة؛ بل تكون سيئة؛ فإن كانت مكافئة لم تكن حسنة ولا سيئة.

فالهجران قد يكون مقصوده ترك سيئة البدعة التي هي ظلم وذنب وإثم وفساد، وقد يكون مقصوده فعل حسنة الجهاد والنهي عن المنكر وعقوبة الظالمين؛ لينزجروا ويرتدعوا، وليقوى الإيمان والعمل الصالح عند أهله، فإن عقوبة الظالم تمنع النفوس عن فعل ظلمه، وتحضها على فعل ضدّ ظلمه؛ من الإيمان والسنة ونحو ذلك، فإذا لم يكن في هجرانه انزجار أحد ولا انتهاء أحد؛ بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها لم يكن هجرة مأمور بها، كما ذكره أحمد عن أهل خراسان إذ ذاك: أنهم لم يكونوا يقوون بالجهمية؛ فإذا عجزوا عن إظهار العداوة لهم سقط المرءُ بفعل هذه الحسنة، وكان مداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف، ولعله أن يكون فيه تأليف الفاجر القوي، وكذلك لما كثر القدر في أهل البصرة، فلو ترك رواية الحديث عنهم لاندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم، فإذا تعذّر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب: كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه؛ خيراً من العكس، ولهذا كان الكلام في هذه المسائل فيه تفصيل:

فإن أقواماً جعلوا ذلك عامّاً فاستعملوا من الهجر والإنكار مَا لم يؤمروا به، فلا يجب ولا يستحب، وربما تركوا به واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرمات، وآخرون أعرضوا عن ذلك

بالكلية، فلم يهجروا ما أمروا بهجره من السيئات البدعية، بل تركوها ترك المعرض، لا ترك المنتهي الكاره، أو وقعوا فيها، وقد يتركونها ترك المنتهي الكاره ولا ينهون عنها غيرهم، ولا يعاقبون بالهجرة ونحوها من يستحق العقوبة عليها، فيكونون قد ضيعوا من النهي عن المنكر ما أمروا به إيجاباً أو استحباباً، فهم بين فعل المنكر أو ترك النهي عنه، وذلك فعل ما نهوا عنه وترك ما أمروا به، فهذا هذا، ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، والله سبحانه أعلم[1].

*** كلمة في الأخلاق:**

قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليُدرك بحسن الخُلق درجة القائم بالليل»[2]، وقال ﷺ: «خيركم إسلاماً أحاسنكم أخلاقاً إذا فقهوا»[3].

*** كلمة في الهدي الصالح:**

قال النبي ﷺ: «الهدي الصّالح، والسمت الصّالح والاقتصاد، جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النّبوة»[4].

هذا وفي ختام هذه الكلمات أسأل الله رب الأرض والسموات: أن يوحّد صفنا وكلمتنا، ويجعلنا جماعة واحدةً لا جماعات، وأن يعيذنا مِن الفرقة والاختلاف، وأن يدخلنا أعلى الجنات، وأن يقينا عذاب الويلات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

(١) بواسطة رسالة «الهجر الشرعي ما يحل منه وما يحرم» (ص١٨-٢٢)، إعداد: أشرف عبد المقصود.

(٢) رواه أبو داود (كتاب الأدب (رقم (٧))، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٨٤)، وصححه الألباني -رحمه الله-.

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٨٥)، وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٩١)، وصححه الألباني.

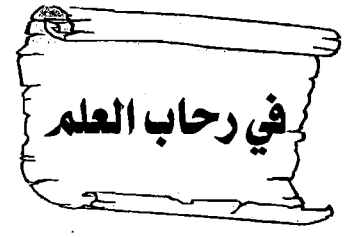

قـــــــراء ســـــــلفيّون

• بقلم: الشيخ أبي أنس محمد بن موسى آل نصر

هـذه نبـذة موجـزة تحـوي ذكـرَ جماعـةٍ مـن القـراء السـلفيين ممـن ورد ذكرهم في «غاية النهاية» لابـن الجـزري ممن نصَّ في ترجمتـهم علـى أنـهم كـانوا يتبعـون طريـق السـلف في العقـائد والأحكام، أو أنهم ألفوا في الـرد علـى أهل البدع، أو امتحنوا بسبب عقيدتـهم السنية السـلفية أردنـا المثـال لا الحصـر وإلا لو تتبعنـا القـراء السـلفيين الذيـن اعتنوا بالقراءة والإقراء في كتب التراجم لـزاد هـذا المقـال عـن حجمـه كثـيراً، وبخاصةٍ أنني لم أترجم للمعـاصرين مـن قراء السـلفيين علـى قلتـهم -وللأسـف- ذلك أن كثيراً من السلفيين عزفوا عن هـذا العلـم الشـريف إلا مـن رحـم الله -ولا أدري أسباب ذلـك- إلا قصـور الهمـم والغفلـة عـن فضـل تعلـم هـذا العلـم الشريف زاهدين في قول الرسـول ﷺ: «خـيركم مـن تعلـم القـرآن وعلمـه». [أخرجه البخاري]

فعسـى أن تكـون هـذه المقالـة شـحذاً للـهمم ودفعـاً لطـلاب العلـم والعلمـاء للعنايـة بكتـاب الله تعلمـاً وتعليماً ليحظـوا بالخيريـة الـتي حـرص عليـها السـلف الصـالح -رضـي الله عنهم-، وقد اقتصرت على نمـاذج مـن القراء سوى الصحابـة لكـثرة القـراء في الصحابة رضي الله عنهم، ولأنهم كانوا

على سبل سوية، ولم تظهر فيهم البدع الردية، وإنما البدع ظهرت بعدهم -خصوصاً- بعد خير القرون وبالله التوفيق.

باب الألف:

ـ إبراهيم بن عمر بن إبراهيم ابن خليل بن أبي العباس العلامة الأستاذ أبو محمد الربعي الجعبري السَّلَفي -بفتحتين- نسبة إلى طريقة السلف (ت ٧٣٢ هـ). محقق حاذق ثقة كبير. ولد سنة أربعين وست مئة أو قبلها تقريباً بربض قلعة جعبر، قرأ للسبعة على أبي الحسن على الوجوهي صاحب الفخر الموصلي، وللعشرة على المنتجب حسين بن حسن التكريتي صاحب ابن كدي، قرأ عليه القراءات العشر شيخنا أبو بكر ابن الجندي، وأحمد بن نخلة سبط السلعوس وإبراهيم البلعبكي الشاهد. استوطن بلد الخليل عليه الصلاة والسلام حتى توفي[1].

ـ أحمد بن عبد العزيز بن يوسف ابن أبي العز عزيز بن يعقوب بن يغمور الحراني الأصل، القاهري المولد والمنشأ، نزيل حلب. الشيخ شهاب الدين أبو العباس الشهير بابن المرحل، (ت ٧٨٨ هـ).

ولد بعد التسعين وست مئة. سمع الشاطبية والرائية من حسن سبط زيادة وسمع من علي بن نصير بن نيا ومن أبي الفتح موسى بن علي الحسيني. وسمع منه جماعة كثيرون، وكتب إليّ بالإجازة من حلب مرات وكان رجلاً خيراً محبّاً للحديث وأهله من أعيان الرؤساء توفي بحلب[2].

ـ أحمد بن إسماعيل بن يوسف ابن محمد بن العباس أبو الخير الحاكمي الطالقاني الشافعي القزويني (ت ٥٩٠).

فقيه مقرئ صالحٌ خيِّرٌ له معرفة بعلوم كثيرة وله كتاب «التبيان في مسائل القرآن ردّاً على الحلولية والجهمية»، قرأ «بالغاية» لابن مهران، وعلى زاهر بن طاهر الشحامي، وقرأ

(١) «غاية النهاية» (١/ ٢١/ ٨٤).

(٢) «غاية النهاية» (١/ ٦٩/ ٣٠٣).

بالروايات على إبراهيم بن عبد الملك القزويني صاحب أبي معشر، قرأ عليه ابنه محمد ومحمد بن مسعود بن أبي الفوارس القزويني، توفي عن نحوٍ من تسعين سنة[1].

ـ أحمد بن صالح الإمام الحافظ أبو جعفر المصري (ت ٢٤٨).

أحد الأعلام ولد سنة سبعين ومئة، قرأ على ورش وقالون وعلى إسماعيل بن أبي أويس وأخيه أبي بكر عن نافع، روى عنه القراءة أحمد بن محمد بن حجاج الرشديني والحسن بن أبي مهران والحسن بن علي بن مالك الأشناني.

قال أبو داود: سألت أحمد بن صالح عمن قال: القرآن كلام الله ولا يقول مخلوق ولا غير مخلوق، قال: هذا شاك والشاك كافر[2].

ـ أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد أبو عبد الله الشيباني (ت٢٤١). أحد أعلام الأمة وأزهد الأئمة ولد سنة أربع وستين ومئة، أخذ القراءة عرضاً فيما ذكره أبو القاسم الهذلي عن يحيى بن آدم وعبيد بن عقيل وإسماعيل بن جعفر وعبد الرحمن بن قاوقا، وعندي أنه لما روى الحروف، روى القراءة عنه عرضاً ابنه عبد الله ذكر ذلك الهذلي في «كامله» توفي عن سبع وسبعين سنة[3].

باب الحاء:

ـ الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز (ت ٤٤٦).

الأستاذ أبو علي الأهوازي صاحب المؤلفات شيخ القراء في عصره وأعلى من بقي في الدنيا إسناداً إمامٌ كبيرٌ محدثٌ ولدَ سنة اثنتين وستين وثلاث مئة بالأهواز.

انتصب للكلام في الإمام أبي الحسن الأشعري فبالغَ الأشعريةُ في الحطِّ عليه مع أنه إمام جليل القدر أستاذٌ في السنن لكنه لا يخلو من أغاليط

(١) «غاية النهاية» (١/ ٣٩/ ١٦٢).

(٢) «غاية النهاية» (١/ ٦٢/ ٢٦٧).

(٣) «غاية النهاية» (١/ ١١٢/ ٥١٥).

وسهو وكثرة الشدّة أوقع الناس في الكلام فيه، قرأ على إبراهيم بن أحمد ابن محمد بن أحمد الطبري ببغداد وأحمد ابن محمد بن عبيد الله العجلي التستري وأحمد بن عبدون قرأ عليه أبو علي الحسن بن أبي القاسم غلام الهواس وأبو القاسم الهذلي ومحمد بن أحمد بن الهيثم[1].

ـ الحسين بن مبشر أبو علي الدمشقي الكتاني (الكناني ق) (ت ٤٥٣).

مقرئ صالح قرأ على محمد بن يونس الدمشقي الإسكاف، وأقرأ الناس بجامع بني أميّة نحواً من خمسين سنة أخذ عنه نجاء بن أحمد وعلي بن طاهر النحوي قال الكتاني (الكناني ث): كان ديناً ثقة على مذهب أحمد[2].

ـ حفص بن عمر بن عبد العزيز ابن صهبان بن عدي بن صهبان أبو عمر الدوري الأزدي البغدادي الضرير نزيل سامراء (ت ٢٤٦).

إمام القراءة وشيخ الناس في زمانه ثقة ثبت كبير ضابط أول من جمع القراءات ونسبته إلى الدور موضع ببغداد ومحله بالجانب الشرقي، قرأ على إسماعيل بن جعفر عن نافع، وقرأ أيضاً على أخيه يعقوب بن جعفر وسليم عن حمزة ...، قرأ عليه أحمد بن حرب وأحمد ابن فرح بالحاء المهملة- أبو جعفر المفسر والحسن بن الحسين الصواف قال أبو داود: ورأيت أحمد بن حنبل يكتب عن أبي عمر الدوري وقال أحمد بن فرح المفسر: سألت الدوري ما تقول في القرآن: قال كلام الله غير مخلوق. قال الذهبي: غلط من قال: توفي سنة ثمانٍ وأربعين ومئتين[3].

باب الغاء:

ـ خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب بن هشيم (هشيم ع ك

(١) «غاية النهاية» (١/ ٢٢٠- ١٠٠٦/٢٢٢).

(٢) «غاية النهاية» (١/ ٢٤٩/ ١١٣١).

(٣) «غاية النهاية» (١/ ٢٥٥ إلى ١١٥٩/٢٥٧).

هشام ق) أبي ثعلب بن داود بن مقسم ابن غالب أبو محمد الأسدي ويقال: خلف بن هشام بن طالب بن غراب (ت ٢٢٩) الإمام العلم أبو محمد البزار -بالراء- البغدادي أصله من فم الصلح -بكسر الصاد-، أحد القراء العشرة، وأحد الرواة عن سليم عن حمزة، ولد سنة خمسين ومئة.

أخذ القراءة عرضاً عن يعقوب ابن خليفة الأعشى وإسحاق المسيبي ويحيى بن آدم وعبد الرحمن بن أبي حماد عن حمزة، روى القراءة عنه عرضاً وسماعاً أحمد بن إبراهيم وراقه وأخوه إسحاق بن إبراهيم وأحمد بن زهير ومحمد بن إسحاق شيخ ابن شنبوذ وهو مختفٍ من الجهمية[1].

باب العين:

ـ عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى بن مسهر أبو مسهر الغساني الدمشقي (ت ٢٠٨).

أحد شيوخ دمشق بعد ابن ذكوان، أخذ القراءة عرضاً عن (ابن شنبوذ) أيوب بن تميم القاري ونافع بن أبي نعيم، روى القراءة عنه أبو عبيد القاسم بن سلام وسمع منه أبو زرعة الدمشقي ولد سنة أربعين ومئة ومات محبوساً بسبب الفتنة بالقرآن بالعراق سنة ثمان ومئتين في رجب وفيه مات المأمون[2].

ـ عبد الرحمن بن عبد الحكيم بن عمران أبو القاسم الأنصاري الذكالي المالكي الملقب بسحنون (ت ٦٩٥).

مقرئ فقيه إمام عارف بمذهبه، مولده تقريباً سنة ست عشرة وست مئة، قال أبو عبيد الحافظ: سألت شيخنا المزي عنه فقال: شيخ جليل فاضل صاحب سنة لقيته بالإسكندرية، قرأ على أبي القاسم الصفراوي، قرأ عليه القرآن عرضاً لورش وحفص في أحد

(١) «غاية النهاية» (١/ ٢٧٣ إلى ٢٧٤/ ١٢٣٥).

(٢) «غاية النهاية» (١/ ٣٥٥/ ١٥٢٥).

عشر يوماً أبو عبد الله محمد بن أحمد الحافظ الذهبي[1].

ـ عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن علي ابن تيمية أبو البركات مجد الدين الحراني (ت٦٥٢). وجَدُّ الإمام الحجة تقي الدين ابن تيمية إمام عالم علامة ولد في حدود سنة تسعين وخمس مئة، رحل إلى بغداد فقرأ بالمبهج على عبد الواحد بن سلطان وروى عن عبد الوهاب بن سكينة قرأ عليه أبو عبد الله القيرواني. كان آية في الذكاء، أعجوبة في المناظرة، غاية في سرد الأحاديث وحفظ مذاهب السلف وإيرادها، متقناً للتفسير والقراءات، مات بحران يوم عيد الفطر عن نيف وستين سنة[2].

ـ عبد الكريم بن عبد الباري بن عبدالرحمن بن عبد الكريم بن عمر بن أبي بكر، أبو محمد الصعيدي ثم الإسكندري الشافعي، مقرئ محقق مؤلف مجود، قرأ على أبيه بالبحر الذي لابن عيسى وعلي الصفراوي وإبراهيم ابن وثيق ومحمد بن سليمان الشاطبي تصدَّر للإقراء بالجامع الغزي والجامع الجيوشي والمدرسة الحافظية السلفية وليهَا بعد أبيه، سمعَتْ منه بنت أخته الوجيهية بنت علي بن يحيى[3].

ـ عبد الله بن سهل بن يوسف أبو محمد الأنصاري الأندلسي المرسي (ت ٤٨٠) مقرئ الأندلس أستاذ ماهر محقق مصدر ثقة قرأ القراءات على أبي عمر الطلمنكي ومكي القيسي وأبي عمرو الداني، قرأ عليه عبد العزيز بن عبد الملك بن شفيع، قال أبو علي بن سكرة: وكان أبو محمد شديداً على أهل البدع، قوالاً بالحق مَهيباً، جرت له في ذلك أخبار كثيرة، وامتحن، ولفظته البلاد وغُرِّب، وغمزه كثير من الناس، ثم رجع إلى الأندلس فمات برند[4].

---

(١) «غاية النهاية» (١/ ٣٧١/ ١٥٧٦).

(٢) «غاية النهاية» (١/ ٣٨٥ إلى ٣٨٦/ ١٦٤٧).

(٣) «غاية النهاية» (١/ ٤٠٠ إلى ٤٠١/ ١٧٠٧).

(٤) «غاية النهاية» (١/ ٤٢١ إلى ٤٢٢/ ١٧٨٣).

ـ عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران اليحصبي -بضم الصاد وكسرها- نسبة إلى يحصب بن دهمان بن عامر بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعمر بن قحطان ابن عابر وهو هود عليه السلام.

وقيل: يحصب بن مالك بن أصبح بن أبرهة بن الصياح وفي يحصب الكسر والضم، فإذا ثبت الكسر فيه؛ جاز الفتح في النسبة فعلى هذا يجوز في اليحصبي الحركات الثلاث، وقد اختلف في كنيته كثيراً والأشهر أبو عمران (ت ١١٨) إمام أهل الشام أخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب صاحب عثمان ابن عفان وأبي الدرداء وفضالة بن عبيد، قلت: قال يحيى بن الحارث: وكان رئيس الجامع الأموي -بدمشق- لا يرى فيه بدعة إلا غيَّرها ، قال خالد ابن يزيد: سمعت عبد الله بن عامر يقول ولدت سنة ثمان من الهجرة في البلقا في ضيعة يقال لها رحاب، وقبض رسول الله ولي سنتان.

روى القراءة عنه عرضاً يحيى بن الحارث الذماري وربيعة بن يزيد وجعفر بن ربيعة[1].

ـ عثمان بن عاصم أبو حصين الأسدي الكوفي (ت ١٣٢) وقيل (١٢٧ أو ١٢٨).

أخذ القراءة عرضاً عن يحيى بن وثاب، روى عنه القراءات سليمان الأعمش وسمع منه أبو بكر بن عياش وكان صاحب سنة[2].

عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين أبو حفص البغدادي (ت ٣٨٥).

الواعظ الحافظ المفسر، ولد سنة سبع وسبعين ومئتين، روى الحروف عن أبي بكر بن أبي داود وأبي بكر بن مجاهد وأبي بكر النقاش روى القراءة عنه الحسين بن علي الطناجيري، وكان

(١) «غاية النهاية» (١/ ٤٢٣ إلى ٤٢٥/ ١٧٩٠).

(٢) «غاية النهاية» (١/ ٥٠٥ إلى ٥٠٦/ ٢٠٩٤).

إماماً كبيراً ثقة مشهوراً، له تواليف في السنة وغيرها مفيدة[1].

باب القاف:

ـ القاسم بن سلام أبو عبيد الخراساني الأنصاري مولاهم البغدادي، (ت٢٢٤).

الإمام الكبير الحافظ العلامة أحد الأعلام المجتهدين، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن علي بن حمزة الكسائي وشجاع بن أبي نصر وسليمان بن حماد وهشام بن عمار وعبد الأعلى بن مسهور وسليم بن عيسى، روى عنه القراءة أحمد بن إبراهيم وراق خلف وأحمد بن يوسف التغلبي وعلي بن عبد العزيز البغوي.

وله اختيار في القراءة وافق فيه العربية والأثر ، قال الداني: إمام أهل دهره في جميع العلوم صاحب سنة ثقة مأمون قال ابن الأنباري: وروينا عن أبي عبيد أنه قال: عاشرت الناس وكلمت أهل الكلام فما رأيت قوماً أوسخ وسخاً ولا أضعف حجة من الرافضة ولا أحمق منهم ومات عن ثلاث وسبعين سنة [2].

باب الميم:

ـ المبارك بن أحمد بن الحسين أبو منصور الخياط البغدادي (ت ٥٤٨).

قرأ على أبي منصور الخياط الكبير وكان صالحاً خيراً كتب عنه الحافظ أبو سعد بن السمعاني قال مسعود بن النادر: كان من الصالحين كثير التلاوة للقرآن وتعليمه من أهل السنة[3].

ـ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى أبو عبد الرحمن الأنصاري الكوفي القاضي (ت ١٤٨).

أحد الأعلام، أخذ القراءة عن أخيه عيسى والشعبي وطلحة بن مصرف والأعمش، روى القراءة عنه عرضاً حمزة والكسائي وبهرام الوشاء، وروى عنه

(١) «غاية النهاية» (١/ ٥٨٨/ ٢٣٨٧).

(٢) «غاية النهاية» (٢/ ١٧إلى١٨/ ٢٥٩٠).

(٣) «غاية النهاية» (٢/ ٣٧/ ٢٦٤٨).

شعبة والسفيانان ووكيع وخلف، قال العجلي: كان فقيهاً صاحب سنة صدوقاً جائز الحديث قارئاً للقرآن عالماً به[1].

ـ محمد بن عبد الله بن محمد بن أشتة أبو بكر الأصبهاني (ت ٣٦٠).

أستاذٌ كبيٌر وإمامٌ شهيٌر ونحويٌّ محقق ثقة سكن مصر، قال السداني: ضابط مشهور مأمون ثقة عالم بالعربية بصير المعاني حسن التصنيف صاحب سنة، قرأ على أبي بكر بن مجاهد ومحمد بن أحمد بن الحسن الكسائي الأخير وأبي بكر النقاش، قرأ عليه خلف بن إبراهيم وعبد الله بن محمد بن أسد الأندلسي وعبد المنعم بن غلبون، توفي بمصر وصلى عليه أبو طاهر القاضي[2].

ـ محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو جعفر الباقر (ت ١١٨) وقيل أربع وقيل خمس وقيل عشر، لأنه بقر العلم أي شقه وعرف ظاهره وخفيه ولد سنة ست وخمسين، عرض على أبيه زين العابدين وروى عنه وعن جابر وابن عمر وابن عباس. قرأ عليه ابنه جعفر وحمران وكان سيد بني هاشم علماً وفضلاً وسنة قال سالم بن أبي حفصة: سألت أبا جعفر عن أبي بكر وعمر فقال: تولهما وأبرأ من عدوهما فإنهما كانا إمامي هدى[3].

معلى بن منصور أبو يعلى الرازي الحافظ الفقيه الحنفي (ت ٢١١).

ثقة مشهور روى القراءة عن أبي بكر بن عياش وكان من أصحاب أبي يوسف الكبار ، روى القراءة عنه محمد بن سعداة وسمع منه علي بن المسدسي وأبو بكر بن أبي شيبة. قال العجلي: ثقة نبيل صاحب سنة طلبوه على القضاء غير مرة[4].

ـ موسى بن عبيد الله بن يحيى ابن خاقان أبو مزاحم الخاقاني البغدادي، (ت٣٢٥).

---

(١) «غاية النهاية» (٢/ ١٦٥/ ٣١١٤).

(٢) «غاية النهاية» (٢/ ١٨٤/ ٣١٧٧).

(٣) «غاية النهاية» (٢/ ٢٠٢/ ٣٢٥٤).

(٤) «غاية النهاية» (٢/ ٣٠٤/ ٣٦٢١).

إمام مقرئ محدث أصيل ثقة سنّي، أخذ القراءة عرضاً عن الحسن بن عبد الوهاب ومحمد بن الفرج وإدريس ابن عبد الكريم، قرأ عليه أحمد بن نصر الشذائي ومحمد بن أحمد الشنبوذي قال الداني: وترك أبو مزاحم الدنيا وأعمل نفسه في رواية الحديث وأقرأ الناس وتمسك بالسنة وقال الخطيب: كان ثقة من أهل السنة وله قصيدة في السُّنَّة[1].

باب الياء:

ـ يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة أبو زكريا البصري (ت ٢٠٠).

صاحب «التفسير»، روى الحروف عن أصحاب الحسن البصري عن الحسن بن دينار وغيره وله اختيار القراءة من طريق الآثار وكان ثقة ثبتاً ذا علم بالكتاب والسنة ومعرفة اللغة العربية صاحب سنة، قاله الداني وسمع منه بمصر عبد الله بن وهب ومثله من الأئمة[2].

قلت: ولا يخلو زماننا -ولله الحمد- من قراء سلفيين عقيدة وعلماً وعملاً وسلوكاً، وإن كانوا هم الأقل بالنسبة للكثرة الكاثرة من القراء والذين غالبهم إما من الصوفيين أو من الحزبيين المتعصبين أو من الأشاعرة وغيرهم والأصل أن يمضيَ القراء على سنن قراء السلف من الصحابة والتابعين على الصراط المستقيم دون اتباع سبل الشياطين فتفرق بهم عن سبيله، فالقرآن كما وصفه الله ﴿ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩]، وهذا هو الأليق فأهله هم أهل الله وخاصته كما صح عن النبيِّ ﷺ.

والحمد لله رب العالمين.

(١) «غاية النهاية» (٢/ ٣٢٠ إلى ٣٢١/ ٣٦٨٩).

(٢) «غاية النهاية» (٢/ ٣٧٣/ ٣٨٤٨).

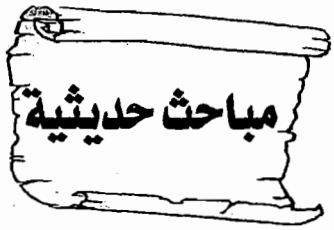

❖ الحلقة الثانية

إعلامُ النَّبيهِ بتضعيف روايات: (وأبيك) أو (وأبيه)

● بقلم: الوليد بن نبيه بن سيف النصر

أقوال أئمة الحنابلة:

قال ابن قدامة: «ولا يجوز الحلف بغير الله وصفاته؛ نحو أن يحلف بأبيه أو الكعبة أو صحابي أو إمام، قال الشافعي: أخشى أن يكون معصية، وقال ابن عبد البر المالكي: وهذا أصل مجمع عليه»[1].

وقال شيخ الإسلام: «فأما الحلف بالمخلوقات كالحلف بالكعبة، أو قبر الشيخ أو بنعمة السلطان أو بالسيف أو بجاه أحدٍ من المخلوقات، فما أعلم بين العلماء خلافاً أن هذه اليمين مكروهة منهي عنها، وأن الحلف بها لا يوجب حنثاً ولا كفارة.

وهل الحلف بها محرم أو مكروه كراهة تنزيه؟ فيه قولان في مذهب أحمد وغيره، أصحهما أنه محرم»[2].

من حلف بغير الله جهلاً منه بالحكم، أو من غير قصد:

(١) «المغني مع الشرح الكبير» (١١/ ١٦٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٢٤٣).

قال الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمهما الله تعالى-: «وأما من كان يحلف بغير الله جهلاً منه أنه شرك لا عناداً، ولا معتقداً أن عظمته تساوي عظمة الله بل لا يفعل ذلك الحلف تعظيماً لله واتقاء خشيته لا تهاوناً بالنبي المحلوف به، ثم إنه لما بلغه أن ذلك شرك تاب من ذلك، وندم ويسبق لسانه بذلك من غير تعمد، فهل من فعل ذلك قبل بلوغه أنه شرك يكون مشركاً أم يعذر بجهله مساواة عظمة المخلوق عظمة الله -تعالى-؟

فالجواب: أن الحلف بغير الله شرك كما في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك»، رواه الترمذي وغيره.

وأما كونه يعذر بالجهل فالظاهر أن الذي يجهل مثل ذلك يعذر بالجهل لأن الشرائع لا تلزم إلا بعد بلوغ الرسالة، ولا يعذب الله أحداً إلا بعد بلوغ الرسالة كما قال -تعالى-: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥].

وأما سبق اللسان بذلك بعد بلوغه إنه شرك فهذا لا يضره إن شاء الله -تعالى- إذا تاب واستغفر، وقال: لا إله إلا الله كما ثبت في «الصحيحين»، وغيرهما من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق».

فإذا كان يجري على ألسنة الصحابة فكيف بغيرهم؟

وكذلك إذا فعل شيئاً من الشرك غير الحلف جهلاً منه، وخطأً فإذا نبه، وتاب ونزع كما جرى لقوم موسى عليه السلام، وكما جرى للصحابة الذين قالوا لرسول الله ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط»[1].

روايات توهم جواز الحلف بالآباء.

الحديث الأول:

حديث ضمام بن ثعلبة، حيث قال له ﷺ: «أفلح إن صدق»، وفي رواية قال له: «أفلح وأبيه إن صدق»، ولكن الرواية الأولى أرجح.

وجوه ترجيح رواية (أفلح إن صدق):

---

(١) «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (١/ ٢٠٠).

تترجح رواية (أفلح إن صدق)، على رواية: (أفلح وأبيه إن صدق)، من حيث الرواية والدراية:

١- لا تترك جميع الروايات المتواترة القطعية الثبوت، والقطعية الدلالة، لنص مشكل مثل هذا النص، وفيه من المخالفة والشذوذ ما فيه!

٢- أن نصوص الحظر والنهي -وهي الأكثر والأقوى- مقدمة على نصوص الإباحة والجواز، كما هو مقرر عند أهل الأصول، بل قد حكى بعضهم فيها النسخ.

قال ابن عبد البر: «هذا حديث صحيح لم يختلف في إسناده ولا في متنه إلا أن إسماعيل بن جعفر رواه عن أبي سهيل نافع بن مالك ابن أبي عامر ... وقال في آخره «أفلح وأبيه إن صدق أو دخل الجنّة وأبيه إن صدق»، وهذه اللفظة إن صحت فهي منسوخة لنهي النبي ﷺ عن الحلف بالآباء وبغير الله[1].

٣- أن هذه اللفظة غير محفوظة، فهي شاذة أو منكرة، قال ابن عبد البر: «الحلف بالمخلوقات كلها في حكم الحلف بالآباء لا يجوز شيء من ذلك.

فإن احتج محتج بحديث يروى عن إسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل ... قال: (أفلح وأبيه إن صدق).

قيل له: هذه لفظة غير محفوظة في هذا الحديث من حديث من يحتج به.

وقد روى هذا الحديث مالك وغيره عن أبي سهيل لم يقولوا ذلك فيه: (وأبيه).

وقد روي عن إسماعيل بن جعفر هذا الحديث وفيه: «أفلح والله إن صدق» «أو دخل الجنّة إن صدق»، وهذا أولى من رواية من روى «وأبيه».

لأنها لفظة منكرة تردها الآثار الصحاح وبالله التوفيق»[2].

ونقل الصنعاني عن ابن عبد البر قوله، وأقره.

٤- وقال الحافظ ابن حجر: وحكى السهيلي عن بعض مشايخه أنه قال: هو تصحيف، وإنما كان (والله) فقصرت اللامان.

واستنكر القرطبي هذا وقال: إنه يخرم الثقة بالروايات الصحيحة[1].

(١) التمهيد (١٤/ ٣٦٧).

(٢) «التمهيد» (١٦/ ١٥٨).

قلت: لا يخرم ذلك بالروايات الصحيحة، إلا إذا لم يكن ثمّة شذوذٌ، بل إن عدم الحكم على الحديث بالشذوذ، بله النكارة يكون إهمالاً لقواعد هذا العلم وأصوله.

وقال الحافظ ابن حجر: وزعم بعضهم أن بعض الرواة صحف قوله: (وأبيه)، من قوله (والله)، وهو محتمل، ولكن مثل ذلك لا يثبت بالاحتمال[٢].

٥- أن رواية: «أفلح إن صدق»، اتفق الشيخان عليها، ولم يختلف في إسنادها ولا متنها، بعكس اللفظة الأخرى، فلم يروها إلا مسلم، مع إشارته لضعفها أو شذوذها، والمخالفة فيها، وليست في الأصول.

٦- أن الرواية الصحيحة المحفوظة لها شاهد آخر من حديث أنس بلفظ: «إن صدق ليدخلن الجنّة»[٣].

٧- أن رواية مالك في الجملة أصح من رواية إسماعيل بن جعفر وذلك لأمور:

أ- أن مالكاً أوثق وأتقن من إسماعيل ابن جعفر، فقد وُصِف مالك بأنه رأس المتقين، وكبير المتثبتين، بعكس إسماعيل فإنه مع ثقته فقد وصف بالخطأ وإن كان على قلة فيه، فقد قال يحيى بن معين: «ثقة مأمون قليل الخطأ صدوق» «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٢٠).

ب- أن مالكاً توبع على روايته، من إسماعيل نفسه عند البخاري (ح ١٥٢٦) والنسائي (ح ٢٠٩٠).

ج- أن مالكاً رواه عن عمّه وهو أدرى بحديثه.

د- أن الشك المذكور في رواية إسماعيل يدل على عدم ضبطه للرواية فتارة يرويه «أفلح وأبيه، أو دخل الجنّة وأبيه إن صدق»، وتارة يرويه: «أفلح والله إن صدق»، وتارة: «أفلح إن صدق» مثل رواية مالك، ومما لا شك

(١) «فتح الباري» (١/ ١٣٣).

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٥٤٢).

(٣) «صحيح مسلم» (ح١٢)، ورواه أحمد (٣/ ١٤٣).

فيه أن اللفظ الذي توبع عليه من غيره يكون هو المحفوظ، وغيره هو الشاذ.

هـ- أن بعض أهل هذا الشأن قد تكلم في رواية إسماعيل وحكموا عليها بالشذوذ كما تقدم.

من ضعف الحديث من أئمة هذا الشأن:

تقدم النقل عن ابن عبد البر والصنعاني، وكذا القرافي[1]، وابن قدامة[2]، والعلامتان الألباني[3]، وابن باز[4] والعلامة ابن عثيمين[5].

وقال السهيلي: «لا يصح لأنه لا يظن بالنبي ﷺ كان بحلف بغير الله، ولا يقسم بكافر، تالله إن ذلك لبعيد عن شيمته»[6].

الحديث الثاني:

ورد من طريق محمد بن فضيل عن عمارة ابن القعقاع بن شبرمة عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ! أي الصدقة أعظم أجراً؟ فقال: «أما وأبيك لتنبّأنه: أن تصدّق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل البقاء، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان». رواه مسلم (٧/ ١٧٤) وأحمد (٢/ ٢٣١).

ومحمد بن فضيل، متكلم فيه مع ثقته، لذلك قال عنه النسائي: «لا بأس به».

وقال ابن المديني: «كان ثقةً ثبتاً في الحديث، وما أقل سقط حديثه»، فأثبت له السقط في الحديث وإن كان قليلاً.

---

(١) نقل ذلك عنه الحافظ في «فتح الباري» (١/ ١٣٣)، فقال: «غفل القرافي فادعى أن الرواية بلفظ: (وأبيه) لا تصح، لأنها ليست في «الموطأ»، وكأنه لم يرتض الجواب فعدل إلى رد الخبر، وهو صحيح لا مرية فيه». أ-هـ.

قلت: بل فيه مرية بلا مرية ولا فرية، لما بينته.

(٢) «المغني على الشرح الكبير» (١١/ ١٦٤).

(٣) «الصحيحة» (ح ٢٧٩٤)، «والسلسلة الضعيفة» (٤٩٩٢).

(٤) «مجموع فتاوى» (٢/ ٧٢٥).

(٥) «القول المفيد» (٢/ ١٣٢).

(٦) «فتح الباري» (١١/ ٥٤٣).

فهو ولو كان صحيح الحديث جدّاً، فلا يقبل حديثه إن خولف من جمع من الثقات، فإن مخالفيه في هذا الحديث كثرة من الثقات.

منهم:

١- محمد بن فضيل نفسه (البخاري).

٢- محمد بن طلحة (البخاري).

٣- وهيب ابن خالد (البخاري).

٤- جرير ابن عبد الحميد (مسلم / ١٠٣٢)، (أحمد ٢/ ٢٥٠).

٥- سفيان الثوري (البخاري في «الوصايا»)، (أحمد ٢/ ٤٤٧).

٦- عبد الواحد بن زياد (البخاري في «الزكاة»)، ومسلم (ح ١٠٣٢)، (وأحمد ٢/ ٤١٥).

فكيف وقد وصف بما أشرت إليه من بعض الخطأ في حديثه ؟!

وتابع محمدَ بنَ الفضل على روايته شريكٌ عن عمارة، عند ابن ماجه (ح١٧٠٦)، وأبي يعلى (١٠/ ٤٧٩- ح ٦٠٩٢)، وابن أبي شيبة (٢٥٤٠٣) وغيرهم.

وشريك هو ابن عبد الله القاضي: سَيِّئ الحفظ جدّاً، فلا يتقوى به لسوء حفظه.

وعد ابن عدي هذا الحديث من مناكيره في كتابه «الكامل في الضعفاء» (٤/ ١٣٣٢).

ولأن من شروط التقوية ألا يكون شاذّاً ولا معللاً.

وقد شك في ثبوت هذه الرواية الحافظ ابن حجر مع عزوه إياها لـ«مسلم» فقال: «أخرجه مسلم، فإذا ثبت ذلك فيجاب بأجوبة» [1]، ثم ذكر أجوبة عليه.

وللبحث بقية. . .

(١) «الفتح» (١١/ ٥٤٢).

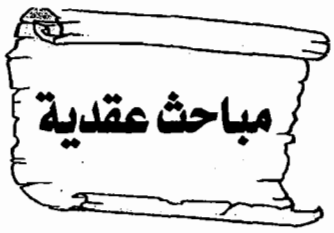

❖ الحلقة الثالثة

الفرق بين الصغيرة والكبيرة

وبيان الآثار المترتبة على ذلك

● بقلم: الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

إن الكبر والصغر في اللغة أمران نسبيان، ليس مدلولهما أمراً محدوداً، وخطاب الشارع بلسان العربية ما لم يثبت له عرف، ولم يثبت له عُرف في الكبر والصِّغر فبقيا على معناهما لغةً.

وذكر بعض النصوص من الآيات والأحاديث التي تُفيد تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر، وقال: «إلى أحاديث جمّة تدل على انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر، وطريقُ الألفاظِ والعقلِ مندوحٌ منها، فما بقي إلا التعين الشرعي[1]، وقد عيّن الشارع في بعض الروايات تسعاً، وفي بعضها سبعاً -أعني بلفظ هذين العددين-، ثم تعييُنهما بالتعداد، وقد عيّن ما فيهما في أحاديث أخرى، وفي التعداد -أيضاً- تبديلُ شيء بشيء، فمنها ما صح ومنها ما ليس بذاك، وليس هذا تكليفاً خاصاً بالكبائر؛ لأنا مأمورون باجتناب جنس

(١) يعجبني جداً كلام العلائي في «المجموع المذهب» (ق ١٦٥/أ) -وسبق أن نقلته في الحلقة الثانية تحت (الملاحظة الأولى)- فراجعه، والله الموفق.

العصيان من كبيرة وصغيرة، فيستوي التكليفُ بهذا الاعتبار، وإنما اختلف الحال في الأثر وفي قوة الاهتمام بترك الأعظم، فإذا لم يعيّن الشارع بعض الكبائر لم يلزم من ذلك محذورٌ أصلاً، ويدل لكونهما باقيين على معناهما اللّغوي -أعني: أن الصّغر والكبر نسبيان- ما كَثُر من الأحاديث التي في معنى: «وإياكم ومحقرات الذنوب؛ فإنهنّ يجتمعن على الرجل حتى يُهلِكنه»[1]،

ووجه الدلالة: أنّ محقرات الذنوب إن كانت من الكبائر فالواحدة مهلكة فيضيع مقصود الحديث، وإن كانت صغائر فلا يمكن اجتماعها؛ لأنها مغفورة البتة بحسب اجتناب الكبائر، وإن كان مع الإصرار فلا صغيرة[2] مع الإصرار على ما روي، وهو وفق كلام المتكلمين، فيكون معنى قوله -تعالى-: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء:٣١] نحو قوله ﷺ: «سددوا وقاربوا وأبشروا»[3]، وتكون الحكمة في عدم

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٢)، والطيالسي(٤٠٠)، والحميدي (٩٨) وأبو يعلى (٥١٢٢) في «مسانيدهم»، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٣١٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠٥٠٠) و «الأوسط» (٣/ ٧٤ رقم ٢٥٢٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (رقم ٢٨٥) من حديث ابن مسعود وهو حسن لغيره. وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٩٨)، وقال: «رواه أحمد والطبراني في» «الأوسط» «ورجالهما رجال الصحيح؛ غير عمران بن داور القطان، وقد وثق».

وثبت موقوفاً عنه بسندٍ صحيح على شرط الشيخين، عند عبد الرزاق (٢٠٢٧٨)، «والطبراني» (٨٧٩٦).

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٥٠٠)، وعزاه لابن جرير (٨/ ٢٤٥ رقم ٩٢٠٧)، وابن المنذر (٢/ ٦٧١ رقم ١٦٧٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٤ رقم ٥٢١٧)، والبيهقي في «الشعب» (٧١٥٠) من طريق سعيد بن جبير أن رجلاً سأل ابن عباس كم الكبائر : سبع هي ؟ قال: قال إلى سبع مئة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار «بسند صحيح موقوفاً على ابن عباس.

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٦٤٦٧)، ومسلم (رقم ٢٨١٨) بعد (٧٨) من حديث

تمييز الصغائر من الكبائر إرادة اجتناب كل منهما، والتحفظ عن العصيان رأساً بقيد الطاقة البشرية شبيهٌ بالحكمة في إخفاء ليلة القدر في رمضان ليجتهد الناسُ في رمضان في العمل في جميعه، ونظير الحكمة في إخفاء ساعات يوم الجمعة؛ ليهتمّ العامل في عمله كلّ يومه رجاء موافقتها.

فإن قلت: فما وجه تخصيص الكبائر بالزجر في كثير من المواضع والثناء على مجتنبها لو لم يلزم تعينها.

قلت: قد عيّن الشارع شطراً صالحاً منها، ينصرف إليه الزجر والثناء المذكوران، وأيضاً؛ فالمكلّف يعلم أن أدنى إيلام ليس كالقتل مثلاً، والنظرة مثلاً ليست كالفجور ونحو ذلك، فيما عيّن الشارع كِبَره وفيما لم يعيِّنه فيخاف فيما لم يعيّنه أن يكون كبيرةً زيادة خوفٍ فيحذره ويرجو بتركه أنه قد اتصف باجتناب الكبيرة.

فإن قلت: فما حكم ما لم يعيّنه الشارع؟

قلت: تجويز الكِبَر والصِّغَر إذ الحكم بأحدهما هجومٌ بلا دليل بعد انقسام المعاصي إلى أمرين.

فإن قلتَ: هل عيّن الشارع شيئاً من الصغائر؟

قلتُ: لم يصحّ في ذلك ما يقوم به عذر المكلّف في الحكم بالصِّغر ولو صحّ ما منع منه مانعٌ، وقول المعتزلة: إنه إغراءٌ؛ غير صحيح، وأن المقبّح صارف للمؤمن.

فإن قلتَ: قد فسّر اللّمم المفسرون بالنظرة والغمزة والقبلة واللّمم هو الصغيرة.

قلت: ذلك شيءٌ قالوه من قبل أنفسهم، فإن ثبت فيه سندٌ فبها ونعمت، وإلا فلا دليل على التعيين.

فإن قلت: مثلُ قوله ﷺ: «الكبائر سبعٌ»، فيه حصرٌ؛ مثل: السباقُ أربعةٌ

عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «سددوا وقاربوا وأبشروا؛ فإنه لن يدخل الجنّة أحداً عمله»، قالوا ولا أنت يارسول الله ؟! قال:«ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل».

وغيرها، فيلزم تعيين الصغائر فيما عداها.

قلت: هذا من الحصر الادعائي الذي يراد به المبالغة، فلذا جاء في روايات أُخر تسع، وجاء التعيين في كبائر أُخر -أيضاً-، وزبدة ما ورد في ذلك ...» وساق جملة من الأحاديث التي وقع التصريح فيها بلفظ (الكبائر)، ثم قال: «نعم؛ وهذه الأحاديث لها شواهد وروايات متعددة للكثير منها، وثمّة أشياء غيرها لم نذكر أحاديثها إيثاراً للاختصار، وفي بعضها من كلام الصحابة وهو في حكم المرفوع، أو قريب من ذلك، وتعدادها فيما سردناه من الأحاديث وما لم نسرده: الإشراك بالله، قتل النفس بغير حق، عقوق الوالدين المسلمين، الفرار من الزحف، القذف، السحر، أكلُ الربا، أكل مال اليتيم، التعرُّبُ بعد الهجرة، استحلال البيت الحرام، قول الزور، الذين يشترون بعهد الله ثمناً قليلاً، الزّنا، السّرقة، شرب الخمر، اليمين الغموس، استطالة المرء في عرض المسلم، اليأس من روح الله، الأمن من مكر الله، القنوط من رحمة الله، النّهبة، أن يلعن الرجل أبا الرجل وأمّه فيلعن أباه وأمّه، السّبتان بالسّبة، الضِّرار في الوصية، الجمع بين الصلاتين[1]، منع فضل الماء، منع طروق الفحل، ألا يجعل فراق الجماعة، نكثُ الصفقة، أن يقول لصاحبه: اتق الله، فيقول: عليك بنفسك من أنت تأمرني؟! الغلول، منع الزكاة، كتمان الشهادة، ترك الصلاة متعمداً، قطيعة الرحم، ثم ذكر كلام العز بن عبد السلام المتقدم في كلام النووي، وتعقبه بقوله: «وأقول: لم يفدنا معرفة الصغيرة، الذي هو عنوان بحثه إلا أنه أحال ذلك على معرفة مفسدةٍ أدنى الكبائر، وأدنى الكبائر غير معيّن، وليس لنا قدرٌ في أقلّ المفاسد نعرف به أدنى الكبائر من أعلاها، وأفادنا بما ساقه من الأمثلة معرفةَ تفاوت الكبائر في ذات

(١) المراد: من غير عذر، وقد ورد في معنى ذلك بعض الآثار، كما بيّناه -ولله الحمد- في كتابنا «فقه الجمع بين الصلاتين» (ص ١١٨- ١٢٢).

بينها، وهو كلامٌ صحيح لكنه لا يُخرج من الزائدة ما زادت عليه عن كونها كبيرةً، وقد يشهد لذلك التفاوت حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، أنه قال: قلتُ: يا رسول الله! أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، قال: قلت: ثم أيّ؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك» قال: قلت: ثم أي؟ «أن تزني بحليلة جارك»، فأنزل الله -تعالى- تصديقها: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الفرقان:٦٨]، فقد أجاب النبيُّ ﷺ، وذكر من كل نوعٍ أعلاه ليطابق جوابه سؤال السائل، فإنه سئل عن أعظم الذنب، فأجاب بما تضمّن ذكر أعظم أنواعها وما هو أعظم كلِّ نوع، فأعظم أنواع الشرك أن يجعل العبد لله نداً، وأعظم أنواع القتل أن يقتل ولده خشية أن يشاركه في الطعام والشراب، وأعظم أنواع الزنا أن يزني بحليلة جاره، فإنّ مفسدة الزنا تتضاعف بتضاعف ما انتهكه من الحق، فالزنا بالمرأة التي لها زوج أعظمُ إثماً وعقوبة من التي لا زوج لها؛ إذ فيه انتهاك حرمة الزوج، وإفساد فراشه، وتعليق نسبٍ عليه لم يكن منه، وغير ذلك من أنواع أذاه فهو أعظم إثماً وجرماً من الزنا بغير ذات البعل، فإن كان الجار غائباً في طاعة الله كالصلاة وطلب العلم والجهاد تضاعف الإثم، وإن كان الزاني شيخاً كان أعظم، وهو أحد الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، فإن اقترن بذلك كونه في شهر حرامٍ، أو بلد حرامٍ، أو وقتٍ معظم عند الله، كأوقات الصلاة وأوقات الإجابة، زاد الإثم والعقوبة، وعلى هذا فقس تفاوت العقوبات[1].

(١) من اللطائف هنا: ما قاله الحليمي في «المنهاج» (١/ ٣٩٦): «ما من ذنب إلا وفيه صغيرة وكبيرة، فقد تنقلب الصغيرة كبيرة بقرينة تنضمُّ إليها، وتنقلب الكبيرة فاحشة بانضمام قرينة إليها إلا الكفر بالله -عز

- وجل-، فإنه أفحش الكبائر»، وأخذ في التمثيل المسهب على ذلك. وقوم ابن حجر في «الفتح» هذا الضابط بقوله: «وهو منهج حسن، لا بأس به، ومداره على شدة المفسدة وخفتها، والله أعلم» .

قال أبو عبيدة: أحسن ما فيه أن هذا التقسيم لا يجعل أصحاب الهمم الدنيّة يتساهلون في ارتكاب المعاصي، فـ(الصغيرة) أو (الكبيرة) على الحد المذكور ليسا بنوعين متقابلين، وإنما هما متداخلان، ومثله: قولهم: قد يقال لذنب واحد: (كبير) و (صغير) باعتبارين؛ لأن الذنوب تتفاوت في ذلك باعتبار الأشخاص والأحوال، ومن هنا قال الشاعر:

لا يحقر الرجل الرفيع دقيقة
في السهو فيها للوضيع معاذرُ

(فكبائر) الرجل الصغير (صغائر) و (صغائر) الرجل الكبير (كبائر) وللمعتزلة مذهبٌ رديء في قولهم: (إنها نسبية)، سيأتي كشفه وبيان معانيه.

ومما ينبغي أن يتنبه له بهذا الصدد: أن بعض الناس يسوغ لنفسه ارتكاب الذنوب بحجّة أنها (صغائر)!! وهذا افتعال من مضلّين مبتدعة، فلا فرق بينهما -على ما قدمناه- من حيث (الحرمة)، وأخشى أن يكون تصوّرهم هذا من (القرائن) المعنية في كلام الحليمي في -

وكأن النبي ﷺ قال: أعظمها الإشراك بالله بجميع أنواعه، ثم القتل بجميع أنواعه، ثم الزنا بجميع أنواعه، وأدمج في الجواب بيان أن الثلاثة في نفسها متفاوتة إلى عظيم وأعظم، فأعظم الشرك جعل النِّدّ لله -تعالى-، ودونه جعل الأصنام شفعاء إليه بعبادتها مقرِّبةً إليه -تعالى- زُلفى، ثم على ذلك حتى ينتهي إلى الشرك الخفيّ وهو الرياء، وعلى هذا تنزيلُ الآخرين، فقد أشار ﷺ إلى تفاوت الكبائر في أنفسها وإلى تفاوت أنواعها، ويدل له -أيضاً- حديث البخاريِّ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه»، قالوا: يا

- أول هذه التعليقة، التي تجعل (الصغيرة) كبيرة، كيف لا وقد صح -كما خرجناه- عن ابن عباس قوله: «لا صغيرة مع إصرار»، فتأمل، ولا تكن من الجاهلين!

وقد حذر الشيخ عثمان الصافي في رسالته «حول تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر» من هذا التصور، ولذا أثبت على طرتها ما نصّه «تعريفٌ بحقائق، وكشف لشبهات، ودرء لفتن. دراسة تحذر من الاستخفاف بصغائر الذنوب، وأنها قد تكون من المهلكات».

رسول الله! وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمّه»، فإنه جعل اللعن من أكبر الكبائر بالنسبة إلى سائر أنواع السَّبِّ المطلق للوالدين، فتفاوتُ سبِّ الوالدين بتفاوت أنواعه.

وقد ضبط بعضهم الكبيرة: بأنها ما يجوزُ تعذيبُ صاحبها، ثم أورد على ذلك إشكالاتٍ لم ينقضِ عنها إلا بقوله: ولا أستبعد أن معنى الكبيرة باقٍ على معناه اللغويِّ، وأن معنى الآية ﴿إِن تَجْتَنِبُوا﴾ [النساء:٣١]، ما عدا ما لا يكاد يخلو عنه أحد من المنهيّات التي يكثر عُروضُها وتقل السلامة منها وتقع -أيضاً- على جهة الهفوة والزّلل، ولا يجعلها الإنسان خُلُقاً له، وهي مطابقةٌ لحديث ابن عباس -رضي الله عنه-: «لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار».

ثم إن المعاصي بعد ذلك منقسمة؛ منها: ما اقتضت الحكمة أن يُحبط الإيمان وغيره، وهو الشرك، ولذا لا يغفر بالتفضّلِ -أيضاً-، ومنها: ما لا يُحبط نفس الإيمان ويُغفر بالتفضّل ويكثر فعلُه وموجبه في كل حال أو في غالب الأحوال؛ كالقتل وسائر السبع والتسع وغيرها[1].

قال أبو عبيدة:

ومِن أرادإ الفروق المذكورة، ما حدّه المعتزلة، فقد حدّوا الكبيرة: بأنها ما لا يقابله عملٌ وإن كَبر ولا يسقطها إلا التوبة، وهذا هو الفرق بينها وبين الصغيرة، ولذا يقول بعضهم: أن الكِبر أمرٌ نسبي باعتبار كثرة الثواب وقلّته.

قال العلامة المقبلي: «هذا كلامٌ قالوه من قبل نفوسهم بغير حجّة منيرة، ولو جرينا على كلامهم لما كان يُنصب لأحد ميزانٌ؛ لأن صاحب الكبيرة -بزعمهم- تأكلُ كبيرته عمل الأولين، وصاحب الصغائر قد سقطت صغائِره بنفس اجتناب الكبائر مطلقاً، صرحوا بذلك وزعموا أنهم فهموه من الآية، وكان يلزم استحالة استواء الحسنات

---

(١) «إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة» (ص ٤٨٤ - ٤٩٨) بتصرف كبير.

وقوله: «حديث»! صوابه: أثر.

والسيئات، وقد اعترفوا بذلك، وجاءت به السنّة النبوية، وبأنّ بعضهم يؤمر به إلى النار بالسيئة تبقى، ولا يمكن هذا على زعمهم؛ لأنه لا يمكن أن يقال: لم يبق عليه إلا سيئة واحدة بل ولا يمكن أن يقال: لم يبق عليه إلا مئةُ سيئة أو ألف سيئةٍ أو مئةُ ألف سيئة أو أقل أو أكثر من ذلك، مما هو محدود؛ لأن المفروض أنّ السيئة الكبيرة لا انتهاء لها، وأعجب من هذا قولهم: إنها نسبية؛ لأن الرجل الذي له في الحالة الراهنة حسنةٌ واحدة، وإذا فعل سيئةً واحدةً -أصغر ما يقدَّر-، كانت كبيرة في حقه عندهم، فكيف يقال: إذا عمل حسنة بجنبها أو عشراً أو مئة أو عمل أهل الدنيا، لم تكفرها ولو كانت الحسنة متقدمة عليها لكفّرتها، ولقد قال أبو هاشم وأتباعه: (مسألة فرضية): لو فرض صدورُ كبيرةٍ منصوص على كبرها من نبي، كانت صغيرة لكثرة ثوابه!

فتدبر أطراف كلامهم وردّ بعضه إلى بعض، يظهر لك تهافته، وليس الفرقان بين الصغيرة والكبيرة، بل وبين الكبيرة التي ليست بشرك وبين الشرك إلا بحكم كل قسم منها، وهو ما قدمناه من عدم غفران الشرك إلا بالتوبة، وغفران الصغائر مطلقاً، ودخول القسم الأوسط في المشيئة.

(فإن قلت): قد أُمرنا باجتناب الكبائر شركاً وغيره، فلا بد أن يتعين كل جزئي ليمكن تجنُّبه، فتتعين في ضمن ذلك الصغائر، فهل هذا ممكن؟ (قلت): قد وهِمتَ بقولك: لا بدّ أن يتعيّن كلُّ جزئيّ، وإنما ذلك لو لم يؤمر باجتناب سائر جزئيات العصيان، لكن الله -سبحانه- أمرنا باجتناب كلّ عصيان، وقال: بعض هذا العصيان شرك شأنه كذا، وبعضهُ صغيرةٌ شأنه كذا، وبعضه وسط شأنه كذا، فتم البيان وقامت الحجّة، وأوضح لنا بعض جزئيات الكبائر من شركٍ وغيره، ورتّب على ذلك تعبداتٍ مخصوصة، وبقي ما عدا تلك التي أوضحها داخلٌ تحت جنس العصيان، يجوز في بعضها أنه كفر، وفي بعضها أنها كبيرة غيرُ كفر، ولا بُعد في تَعَيُّن صغيرةٍ ما إن تحقق الوقوع.

فإذا تحقَّقْتَ كلامنا، وكان فئتك الكتاب والسنّة غير قواعد المتكلمين؛ علمت أنّ هذا من الله، والحمد لله، فإنّ الناس يدورون بدوران ما يقوم به الوقت من حدوثِ مقالة يوطئها شيخٌ قد ابتُلِي بالقَبول فيهم، أو بنصرةِ دولةٍ، أو نحو ذلك، وإن كان ضلالاً بيّناً.

ولقد يقضي العجب مما استقر الآن في متكلمة الأشعرية، أنه لا يجوز على الأنبياء الصغائر، قالوا: ولو سهواً، حتى رأينا السؤالات، هل يكفُرُ من جوّز ذلك؟ فلا يكاد أحدٌ في وطأتهم يقدر على خلافِ ذلك، حتى رَدّوا صرائح الكتاب والسنّة، قال شارح «القواعد الطوسيّة» -وهو أشعري، لا إمامي كصاحب الأصل-: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ ﴾ [طه:١٢١]؛ أي: بنوه!

وتخبّط البيضاوي[1] فنسب أولاً تجويز العصيان عليهم إلى الحشوية، ثم قال من جملة تأويله: إن ما وقع لآدم -عليه الصلاة السلام- كمن يأكل السمّ مع الجهل فيقتله، وغير ذلك، وعلى زعمهم هذا تكرمةُ نبينا ﷺ بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، التي من مقدمات المقام المحمود شيء هين، بل لا معنى له، ولم يقل هذه المقالة أحدٌ من الأشاعرة الماضين ولا غيرهم، بل ينسب إلى الرافضة -إن صح-، ولا نطيل في نحو هذا؛ فإنه مخرقةٌ محضة، وإنما أردنا عساك أن تكون بحيث لا يدهمَنّك من دهماتهم عدَدٌ، فإن جلّهم -بل كلهم- رجل، لا والله ولا رجلٌ تام الرجولة، نسأل الله العافية، وهو حسبنا الله نعم الوكيل»[2].

ثم استطرد في بيان الآثار المترتبة على (حد الكبيرة)، فقال -رحمه الله-: «أما هذه المسألة التي جرى لها ذكرٌ في غضون البحث، وهي مسألة أن الله يغفر دون الشرك لمن يشاء، فهي جديرة بعدم التطويل لوضوح أمرها؛ فإنها كالمعلوم من ضرورة الدين، وليس مع

(١) في «أنواره» (١/ ٥٦ - ط. دار الكتب العلمية).

(٢) « العَلَم الشامخ» (ص ٥٥- ٥٦).

المعتزلة إلا عمومات يقابلها مثلها، ويقابلها هذه الآية الكريمة، وهي خاصةٌ نصٌّ في محل النزاع، ولا عبارة أوضح منها في هذا الغرض، مع أن الله -سبحانه- ذكرها مرتين في سورةٍ واحدة بلا زيادة ولا نقصٍ في المعنى ولا اختلافٍ في اللفظ، بل مجرد تأكيد لفظي، ما ذاك إلا لإبلاغ المراد، ودرء ما تأتي به الأهواءُ بعدُ من المخالفة والتّضادّ، والأحاديث الناصّة على هذا المعنى والتي يؤخذُ منها على جهةِ الإشارة قد أفادت من عرفها معرفةً متوسطةً التواتر المعنويَّ، مع أن العقل يسوِّغ هذا، بل ويرجّحه عند جمهور المعتزلة، وليس لهم حامل على التصميم على هذه المقالة إلا أنّ أسلافهم سبقوا إليها كنظائر كثيرةٍ لهذه المسألة معهم ومع الأشعرية وغيرهم من الفرق، كما لا يشكُّ في ذلك مختبرٌ منصفٌ، ومع هذا فهم يرون مخالفتهم في هذه المسألة أمراً عظيماً، خلا أنهم لم يجزموا بتكفير المخالف ولا تفسيقه، مع جرأتهم في هذا الباب، وما أحسن قول من قال:

يعيبُ القولَ في الإرجاء حتى
يرى بعض الرجاء من الجَرَائِر
وأعظم من أخي الإرجاء عيباً
وعيديٌّ يصرُّ على الكبائر

وهم -أيضاً- يسمّون من يقول بهذه المسألة بالمرجئة[1]؛ ليتوصّلوا بذلك الاعتضاد بالأحاديث الواردة في ذمّ المرجئة، التي لم يصح منها حديثٌ عند المحدثين[2]، والمرجئة إنما هم من يقول: الإيمان قول بلا عمل.

قال في «الصحاح»[3]: «أرجأت الأمر: أخرته، يُهمَز ولا يُهمَز، وقرئ: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١٠٦]، و: ﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ [الأعراف:١١١]، فإذا وصفت الرجل به، قلت: رجلٌ مُرْجٍ، وقومٌ مرجئة، والرجاء: الأمل» انتهى.

---

(١) ما أشبهَ اليومَ بالأمس!!

(٢) فصلت في عللها ونقدها مع كلام أئمة الحديث في تعليقي على «المجالسة» (رقم ٨٦٣، ٢٥٧٦)، وتعليقي على «الخنائيات» (رقم ٣٠٦).

(٣) (١/ ٥٢)، والمذكور بتصرف.

والحاصل أن تأخير أهل الصلاةِ عن الوعيد رأساً أو عن القطع بخلودهم سائغٌ للمصطلح، غير أنَّ حمل الحديث يُتبع فيه التفسيرُ النبويُّ لا على اصطلاحٍ متأخر.

وترى المحدثين وسائر القائلين بأن صاحب الكبيرة داخلٌ تحت المشيئة وهم الراجون يردّون على المرجئة ولا يتجشَّمون الفرق بين الراجئ والمرجئ لبُعد ما بينهما، لكنه اصطلاح الوعيديّة على تسمية من قال بالرجاء الذي هو كالمعلوم من ضرورة الدين مرجئاً! ثم جعلوا الحديث مستعملاً على اصطلاحهم المجدّد، وهذا غلطٌ كَثُر وقوعه في مسائل أصوليّة وفرعيّة[1]؛ كمسألة القدر، اصطلح كلٌّ من المعتزلة والأشاعرة على تسمية خصمه بالقدرية، ثم حكموا على الحديث أنه واردٌ على استعمالهم، ومن جُمَل خطاب الشارع على الاصطلاح المجدّد في المسائل الفرعيّة: لفظ النجس والرجس، حتى زعم بعضهم أنّ قوله -تعالى-:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة: ٢٨]، نص في نجاسة الكافر بالمعنى المستعمل في لسان المفرعين، ومن ذلك لفظ القنوت وغير ذلك، وهي مزلّةٌ كثيراً ما وقع فيها الكمَلةُ، فتنبه لها، وخذها كليّة تنفعك في عدّة موارد.

وللبحث بقية . . .

(١) أكثر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- من التنبيه عليه، وجدير بأن تجمع مفرداته في مصنف والله الموفق. وينظر -للفائدة-: كتاب «أزمة المصطلح العربي في القرن التاسع عشر» لمحمد سواعي، نشر دار الغرب، ففيه فائدة تاريخية مهمّة حول هذا الموضوع.

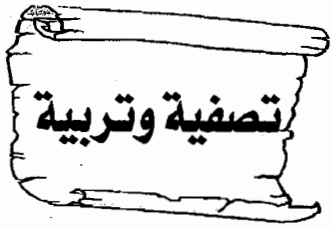

الحلقة الأولى

أسباب ضعف المسلمين أمام عدوِّهم ووسائل العلاج لذلك[1]

• سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-

لقد اهتم أرباب الفكر الإسلامي وأصحاب الغيرة الإسلامية وأصحاب التفكير الكثير بحال المسلمين وما آل إليه أمرهم.

لقد شغلهم هذا الأمر كثيراً وفكروا كثيراً في أسباب ضعف المسلمين، وفي أسباب تأخرهم أمام عدوهم، وفي أسباب تفرقهم واختلافهم، وفي أسباب تسليط العدو عليهم حتى أخذ بعض بلادهم.

ثم بعد أن عرفوا الأسباب -وهي واضحة- اهتموا أيضاً بأن يعرفوا العلاج لهذه الأسباب التي أوجبت التأخر والضعف وهي معلومة أيضاً، ولكن يجب أن تنتشر وأن تُبين، فإن وصفَ الداء من أعظم أسباب الشفاء والعافية.

فإن المريض متى عرف داءه وعرف دواءه فهو جدير بأن يبادر إلى أخذ الدواء ثم يضعه على الداء.

(١) محاضرة ألقاها سماحة الشيخ في ندوة المسجد الجامع الكبير بالرياض في ٢٩/ ٥/ ١٣٩٩ هـ.

هذه طبيعة الإنسان العاقل الذي يحب الحياة ويحب الخلاص من الأمراض، يهمه أن يعرفَ الداء وأن يعرفَ الدواء

ولكن بعض الناس قد يغلب عليه الداء ويستولي عليه حتى يرضى به ويستبد وحتى يموت شعوره، فلا يُبالي بمن يصف له الدواء لأنّ الداء صار سجية وطبيعة له يرتاح له ويقنع بالبقاء معه لانحِراف مزاجه وضَعف بصيرته وغلبة الهوى عليه وعلى عقله وقلبه وتصرفاته كما هو الواقع في أكثر الناس بالنسبة للأدواء الدينية وعلاجها.

فقد استلذ الأكثر وطاب له البقاء على أمراضه وسيئاته التي أضعفته وعطلت حركاته، وجعلته لا يحس بالداء في الحقيقة ولا يحس بنتائجه ولا بما يترتب عليه في العاجل والآجل، ولا يَنشد الدواء ولا يحرص عليه ولو وُصف له وبُين له ولو كان قريباً منه؛ لأنه لا يهمه ذلك، وما ذاك إلا لاستحكام الداء وارتياح النفس له وخفاء ضرره عليه وعدم الهمة العالية لتحصيل المطالب العالية.

وقد بَيّنَ العلماء وأصحابُ الفكرِ النير وأرباب النافذة والخبرة بأحوال الأمم في هذا العصر وقبله بعصور أسباب ضعف المسلمين وتأخرهم، كما بَيَّنوا أيضاً وسائل العلاج الناجع ونتائجه وعاقبته إذا أحسن استعمالَ الدواء.

وترجع أسباب الضعف والتأخر وتَسْليط الأعداء إلى سبب نَشَأت عنه أسباب كَثيرة وَعَامِلٌ واحدٌ نَشَأت عنه عَوامِل كثيرة، وهذا السبب الواحد وَالعَامِلُ الوَاحِد هو: الجَهل؛ الجهل بالله وبدينه وبالعَواقِبِ التي اسْتَولَت على الأكثرية، فصار العِلْمُ قليلاً والجَهْلُ غالباً.

وعن هذا الجَهل نَشَأت أسباب وعَوَامِل منها: حُبُّ الدُّنْيا وَكراهِيةُ الموت، ومنها إضاعَةُ الصَّلوات واتباع الشَّهوات، ومنها عَدَمُ الإِعْدَادِ للعَدو والرضى بأَخْذ حَاجياتِهم من عَدُوهم، وعَدَمُ الهمّة العَالية في إنتاج حاجاتِهم

من بلادهم وَثَرَواتِهم، ونَشأ عن ذلك أيضاً التفرق والاختلاف وعَدَمُ جَمعِ الكَلِمة وعَدَمُ الاتحاد وعدم التَّعاون.

فعن هذه الأسباب الخَطيرة وثمراتها وموجباتها حَصَلَ ما حَصَلَ من الضعف أمامَ العَدو، والتَّأخر في كلِّ شيء إلا ما شاء الله والإقْبَالُ على الشَّهوات المُحرمة، والشغل بما يَصُدُّ عن سَبيل الله وعن الهدى، وعدم الإعداد للعدو لا من جهة الصناعة ولا من جهة السلاح الكافي الذي يخيف العدو ويعين على قتاله وجِهَاده وأخذ الحقّ منه وعدم إعداد الأبدان للجِهاد، وعَدَم صَرْف الأموال فيما ينبغي لإعداد العُدَّة للعَدو والتَّحَرز من شره والدفاع عن الدين والوطن.

ونَشَأ عن ذلك المرض الحرص على تحصيل الدُّنيا بكل وسيلة وعلى جمعها بكل سبب، وأصْبَحَ كل إنسان لا يُهِمُّه إلا نفسه وما يَتَعَلق ببلاده وإن ذَهَبَ في ذلك دينه أو أكثره.

هذا هو حَالُ الأكثرية وهذا هو الغالب على الدول المنتسبة للإسلام اليوم، بل يصح أن نقول: إن هذا هو الواقع إلا ما شاء الله -جل وعلا- من بعض الأعداد وبعض التحرز على وجه ليس بالأكمل وليس بالمطلوب من كل الوجوه.

ويدل على أن أعْظَم الأسْبَابِ الجَهْلُ بالله وبدينه وبالحقائق التي يجب الأخذ بها، هو قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «مَنْ يُرِد الله به خَيراً يُفَقه في الدين» رواه الشيخان البخاري ومسلم في «الصحيحين»، مع آيات في المعنى وأحاديث كلها تدل على خُبث الجهل وخُبث عَواقِبه ونهايته وما يترتب عليه، بل القرآن الكريم مملوء بالتنديد بالجهل وأهله والتحذير منه كما قال الله -تعالى-: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام:١١١]، وقال -سبحانه-: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣]، إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على ذم الجهل بالله، والجهل بدينه والجهل بالعدو، وبما يجب إعداده من الأُهْبة والاتحاد والتعاون.

وعن الجهل نشأت هذه الأشياء التي سَبَقَتْ؛ من فُرْقَةٍ واخْتِلافٍ وإقْبالٍ على الشَّهوات وإضاعةٍ لما أوجَبَ الله، وعدم إيثار الآخِرة، وعَدم الانتساب إليها بصدق، بل لا يهم الأكثرية إلا هذه العَاجِلَة كما جاء في الآية الكريمة من كتاب الله: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [القيامة:٢٠-٢١]، وكما في قوله -جل وعلا-:﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات٣٧-٣٩] إلخ.

وعن الجهل أيضاً نشأت هذه الكَوَارثُ وهذه العَوَاقِبُ الرَّديئَةُ التي هي حُبُّ الدُّنيا وَكَراهِيةُ الموت، والإقْبَالُ على الشَّهواتِ، وإضَاعَة الوَاجِبَات والصَّلَوَات، وإضَاعَة الإعْدَاد للعَدو من كل الوُجُوه إلا ما شَاءَ الله من ذلك.

ومن ذلك التَّفرق والاخْتِلاف وعَدَمُ الاتحاد والتَّعاون إلى غير ذلك.

فقوله ﷺ: «مَنْ يُرِد الله به خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين» يَدُل على أنَّ من عَلامَات الخَير والسعادة للفَرد والشَّعب والدولة أن يَتفقهوا في الدين، فإنَّ الإقْبَالَ على التَّفقه في الدين والتعلم والتَّبصر بما يجب عليهم في العَاجِل والآجل من أوجَب الواجِبَات، وفي ذلك عَلامة على أنَّ الله أرادَ بهم خيراً.

ومن ذلك -مع إعدادٍ للعدو- تأديةُ فَرائِض الله والانتِهاء عن محارمه.

ومن ذلك -أيضاً- أن يُوجَدَ في بِلاد المسلمين من الصِّناعة والإعداد والقوة ما يَسْتَطيعُ كُلُّ فَرْد بِكُلِ وسيلة، حتى لا تكون حَاجَاتُه عندَ عَدوه، وحتى يَعْلَمَ عَدُوه ما لَديه من الإعداد والاستعداد فيرهبه وينصفه ويعطيه حقوقه ويقف عند حَدّه وحتى يَحْصُلَ إعدَادُ الأبدان وعَدَم الرَّفاهية التي تُضْعِفُ القوى والقلوب عن مُقَاتلة العدو وحتى تَقوى على الجهاد.

والتفقه في الدين أيضاً يُعْطي المعلومات الكافية عن الآخِرة وعن الجنَّة ونَعيمِهَا وقُصُورها وما فيها من

خَيرٍ عظيم، وعن النَّار وعَذابِها وأنكالها وأنواع ما فيها مِنَ العَذاب فَيُكسِبُ القُلوبَ نَشاطاً في طَلَبِ الآخِرة وزهداً في الدُّنيا وإعداداً للأَعداء وحِرصاً على الجِهاد في سبيل الله والاسْتشهَاد في سبيله -سبحانه وتعالى-.

كما أن التفقه في الدين يُعْطي الشَّعبَ والوالي النَّشاط الكامل في كل ما يُحبه الله ويَرضَاه وفي البعد عن كل ما يُغْضبُ الله -سبحانه وتعالى- ويُعْطي القُلوبَ الرغبة الكامِلَةَ في الاتحاد مع بقية المسلمين والتعاون معهم ضد العدو وفي إقامَة أمر الله وتَحكيم شريعته والوقوف عند حدوده، ويَحْصُل بذلك -أيضاً- التعاون على كل ما يجب لله ولعباده، فإنَّ العِلمَ النَّافعَ يدعو إلى العَمل والتكاتف والتناصح والتعاون على الخير، ويعطيهم -أيضاً- الحرص الكامل على أداء الفرائض والبعد عن المحارم والشُّوق إلى الآخرة وعَدَم كراهية الموت في سبيل الحق وفي الجهاد في سبيل الله وفي قِتَال العدو وأخذ الحقوق منه.

وبالعِلمِ تكون النُّفوس والأَموال رخيصة في جلب رضى الله وفي سبيل إعلاء كلمة الله، وفي سبيل إنقاذ المسلمين من سَيْطَرة عَدوهم وتَخْليصِهم مما أصابهم من أنواع البَلاء، وفي سبيل استنقاذ المستضعفين من أيدي أعدائهم، وفي سبيل حِفْظ كيان المسلمين وحَوزَتهم وأن لا تُنتَقَصَ بلادهم وحقوقهم.

فإذا كان الجَهلُ فُقِدَت هذه الأَشياء وهذه الحقوق وهذه الخيرات وهذه المعلومات وهذا الإيثار وهذا الإرخاص للنفوس والأموال في سبيل الحق، وقد قال الشاعر:

ما يبلغ الأعداء من جاهلٍ
ما يبلغ الجاهل من نفسه

فالجهل داء عضال يميت القلوب والشعور، ويُضعِف الأَبدان والقوى، ويجعل أهله أشبه بالأنعام لا يُهمهم إلا شَهَوات الفروج والبُطون وما زَاد على ذلك فهو تَابعٌ لذلك من شَهَوات المساكن والملابس.

فالجَاهل قد ضَعُفَ قلبه وضَعُفَ شعوره وقلت بَصيرَته، فليس وراء شهوته الحاضرة وحاجته العاجلة شيء يطمح إليه ويريد أن ينظر إليه.

وقد جاء في الحديث الذي رواه أحمد وغيره بإسناد حسن عن ثوبان -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «يُوشِك أن تَداعى عَليكم الأُمم كما تداعى الأَكَلَة على قَصْعَتِها» قيل: يا رَسول الله: أمن قِلة بنا؟ قال: «لا، ولكنكم غُثاء كَغُثاء السيل تُنْزَع المهابة من قُلوبِ عدوكم منكم ويُوضَع في قلوبكم الوَهَن»، قالوا: يا رسول الله: وما الوَهَن؟ قال: «حُبُّ الدُّنيا وكراهة الموت».

وهذا الوَهَن الذي وَرَدَ في الحديث إنما نشأ عن الجهل الذي صاروا به غُثاء كَغُثاء السيل، ما عندهم بَصيرة بما يجب عليهم بسبب هذا الجهل الذي صاروا به بهذه المثابة.

فقد سيطر الوهن عليهم واستقر في قلوبهم ولا يستطيعون الحراك إلى المقامات العالية والجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته؛ لأن حُبَّهم للدنيا وشَهواتِها من مآكل ومشارب وملابس ومساكن وغير ذلك أقعدهم عن طلب المعالي وعن الجهاد في سبيل الله فيخشون أن تفوتهم هذه الأشياء.

وكذلك أوجَبَ لهم البُخلَ حتى لا تُصرف الأموال إلا في هذه الشهوات، وأفْقَدهم هذا الجهل القِيادة الصالحة المؤثرة العظيمة التي لا يهمها إلا إعلاء كلمة الله والجهاد في سبيل الله وسيادة المسلمين وحفظ كيانهم من عدوهم وإعداد العدة بكل طريق وبكل وسيلة لحفظ دين المسلمين وصيانته وإعلائه وحفظ بلاد المسلمين ونفوسهم وذرياتهم عن عدوهم.

فالجهل أضراره عظيمة وعواقبه وخيمة ومن ذلك ما بيَّنه النبي ﷺ من ذل المسلمين أمام عدوهم ووصفهم بأنهم غثاء كغثاء السيل وأن أسباب ذلك نزع المهابة من قلوب أعدائهم منهم؛ أي: أن أعدائهم لا يهابونهم ولا يقدرونهم لما عرفوا من جهلهم وتكالبهم على الدنيا والركون إليها.

فالعدو إنما يُعَظم القوة والنشاط والهمَّة العَالية والتَّضْحية العَظيمة في

سبيل مبدئه. فإذا رأى العدو أن هذا الخَصمَ المقابل له لَيسَ له هذه الهمَّة، وإنما هو يَهتَمُّ لشَهَواتِه وحظه العَاجِل أعطاه من ذلك حتى يوهن قوته أمَامَه ويَصْرِفَهُ عن التفكير في قِتَاله لانشِغَاله بِحب الدُّنيا والانكِبَابِ على الشَّهوات.

فالوهن أصاب القُلوب إلا ما شاء الله واستَحكَم عليها إلا مَنْ رَحِمَ رَبُّك وما أقلهم، فَهم في الغَالِبِ قد ضَعُفوا أمام عَدوهم ونُزِعَت المهابة من قلوب أعدَائِهم مِنْهُم وصَارَ أعداؤهم لا يَهتَمونَ بِهم ولا يُبَالون بِهم ولا يُنْصِفونَهم؛ لأنهم عرفوا حَالَهم وعرفوا أنهم لا قُوَة ولا غَيْرَة عِنْدَهم ولا صَبر لهم على القِتَال ولا قُوة -أيضاً- تُعينُهم على القِتَال ولم يُعِدُّوا لهذا المقام عُدَّته، فلذلك احتقرهم العدو ولم يبال بشأنهم، وعاملهم معاملة السيد للمسود والرئيس للمرؤوس وهم سادرون في حُبِّ الدُّنيا والبُعدِ عن أسباب الموت إلا مَنْ رَحِمَ رَبك، حَريصُونَ على تَحْصيل الشَّهوات المطلوبة بِكُلِّ وسيلة، حَذِرونَ مِنَ الموت حَريصُونَ على العِلاج والدَّواء عن كل صَغيرةٍ وكَبيرة مِنَ الأَدواء خَوف الموت، وحَريصون أيضاً ألا يَتعاطوا أمراً يُسبِّبُ الموتَ والانقِطَاعَ عن هذه الشَّهوات.

ومن أراد الآخِرة وأراد إعلاء كلمة الله والجِهاد في سَبيل الله لا تَكون حَاله هكذا، وفيما جرى لِسَلَفِنا الصالح في عَهْدِ نبينا ﷺ وعَهْدِ صَحابَته المرضيين ومن سَار على طَريقهم بعد ذلك فيما فعلوا من الجهاد، وفيما أعدوا مِنَ العدَّة، وفيما صَبروا عليه من التَّعب والأَذى، قُدْوَةٌ لنا وذكرى لنا لإعلاء كلمة الله، والجهاد في سبيله وإنقاذ بِلادِنا وقَومنا من أيدي أعدَائِنا صبراً وتحملاً وجهاداً وإيثاراً للآخرة، وبذلاً للمال والنفس للجهاد في سبيل الله -عز وجل-، وتدرُّباً على الجهاد والقتال، وحرصاً على الخشونة والصبر والتحمل وذكراً للآخرة دائماً، وعناية بكل ما يعين على جهاد الأعداء وصبراً على ذلك وتعاوناً وجمعاً للكلمة واتحاداً للصف حتى يَحصُل المراد من إعلاء كَلِمة الله وإنقاذ المسلمين من كَيْد عَدُوهم.

وللبحث بقية . . .

خفافيش أعماها النهار بضوئه

● بقلم: الشيخ الدكتور سعد البريك

حديثنا اليوم عن ما نحن في صدده من هذه الأحداث الجسام، النذر التي دقت، ونواقيس الخطر التي نطقت وتقول لنا: إننا بأمسِّ الحاجة أن نراجع صفوفنا وأن نتفقد خطانا وإن نجمع شملنا وأن نستعين بالله -عز وجل- فيما يقربنا إلى مرضاة ربنا.

وتكلم المتكلمون المخلصون، عبر كل منبر ووسيلة إعلامية وخطبة جمعة وقلم صادق وخطاب ناصع، يقولون: النجاة... النجاة، التفتوا وانتبهوا وانظروا من الذين يندسُّون في صفوفكم، بأي شعار وتحت أية راية، لتعرفوا من الذي يركب الإسلام مطية لتحقيق مآرب أو يركب الحرية مطية لتحقيق الفوضى، أو يركب الأمانة مطية من أجل مزيد من الخيانة.

وما أمر البارحة أو «وما يوم حليمة بسرّ»، حوادث التفجير التي أزهقت فيها أرواح أبرياء، وسفكت فيها دماء معصومة من مسلمين مصلين عابدين، كانوا يطلبون لقمة العيش، ويطلبون الرزق الحلال، فإذا بسهام الغدر الطائشة تصوب رصاصها ونيرانها إلى جماجمهم

ورؤوسهم وأفئدتهم وصدورهم لترديهم قتلى، ثم تتوجه لقتل أناس غير مسلمين، ولكنهم في ملتنا وشريعتنا ممن عصمت دماؤهم بعقد الأمان الذي دخلوا به في بلادنا.

أمر الدماء خطير ولايزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً، وأول ما يقضى فيه يوم القيامة بين الناس الدماء، ولقد نظر النبي ﷺ إلى الكعبة فقال: «ما أعظمك وأعظم حرمتك عند الله، وإن دم المسلم أعظم حرمة عند الله منك».

وقال -تعالى-: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ [النساء:٩٣].

من هو ذلك الذي يدعي الإسلام، وهو يقدم على سفك دم مسلم وإزهاق روحه وإتلاف بدنه؟!

من هو الذي يدعي الإسلام، وهو يتوجه باسم الإسلام لينقض مبادئه وأركانه وشرائعه؟!

أليس المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده؟!

أليس المؤمن ذلك الذي يأمن جاره بوائقه؟!

أليس المسلم بأخ لأخيه المسلم لا يسلمه ولا يقتله ولا يحقره؟! «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم».

إذا كانت هذه صفات المسلمين في الإسلام فانظروا إلى أي مدى بعدت هذه الأيدي الآثمة والتصرفات الخاطئة والنواصي الكاذبة عن الإسلام بمثل هذه التصرفات.

ولقد عجبنا أكثر وأكثر يوم أن أعلنت وسائل الإعلام عن ضبط تلك الكميات الكبيرة من المتفجرات والقنابل والمواد شديدة الانفجار؛ فقال قائل: وإن واجه جهلة وغوغاء وبسطاء ومخدوعون، قال قائل منهم: إنها تمثيلية قصد بها أمر سياسي.

وقال آخرون: شباب يتاجرون في بيع السلاح، وقلت -سبحان الله-: هل بلغ الأمر بعقول بعض السذج والبسطاء والغوغاء والمساكين أن يصدقوا مثل هذه القالات؟!، لو سلمنا قطعاً قليلة من السلاح كان الهدف وراءها تجارة في بيعه، فهل سمعتم تجارة في بيع مواد شديدة

الانفجار؟!، هل سمعتم أحداً يتاجر في مادة (السيبور والتي إن تي).

هل سمعتم أحدا يطلب الرزق الحلال في بيع القنابل اليدوية؟!

هل سمعنا أو خطر بعقل عاقل أن مثل هذه الأعمال لا تدل على شيء إلا التّدمير والتّخريب والفساد؟!

ومازال النّاس يترددون بين مكذب ومصدق وتلك مصيبة. خلل عظيم في مجتمعنا، أن نكذب من يصرح باسمه وموقعه ومسؤوليته ثم نصدق مقولة كتبت في مزبلة إلكترونية في ساحة من ساحات المواقع التي أخذت على عاتقها عهداً وثيقاً مع الشيطان ألا تدع لهذا المجتمع أمناً يستفيد من خلاله في الدعوة إلى الله وإصلاح العباد والبلاد ومناصحة المسلمين، وتدفق الخيرات وتتابع الأعمال الصالحات التي هي من أعظم أسباب النجاة من الهلاك.

قال -تعالى-: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود:١١٧].

تاريخ الإرهاب والعنف قديم جداً؛ لكنه كان على أيدٍ آثمة تُعرف وتُكشف من بدايتها ويعرفها المسلمون بأماراتها وعلاماتها.

أليس أمير المؤمنين عثمان بن عفان قد تُسوِّر عليه الدار وأحيط بداره باسم الإسلام وهم يريدون الفتنة وباسم العدل وهم يريدون الخيانة وباسم الثأر وهم يريدون الجريمة تسوروا وتواطأوا وتمالؤوا وحبس أمير المؤمنين عن الماء وعن المسجد وقطع عليه الزاد ثم اقتحمت عليه الدار وجثم الجاثمون على صدره وطعنوه وقطعوا أصابع زوجته وسال دمه.

ليس الإرهاب جديداً في تاريخنا، لكن الجديد أن يكون الإرهاب والإفساد والتّخريب، والقتل، والتّدمير يجد مساغاً، أو نوع قبول، أو خجلاً في النّقد، أو توجساً في المواجهة والاستنكار، أو استحياء بالتصريح بالإرهاب وقادته ومن يقف وراءه ودوافعه وأسبابه.

الفتن لا شك أنها متتالية، لكن لا تعني الفتن أن يقف الناس مكتوفي الأيدي في مواجهتها، ودفعها وردها عن مجتمعاتهم وأنفسهم.

نعم؛ تلك فتن استدرجت بعض الأغرار وبعض الصغار، وبعض المتحمسين، وقادها مجرمون، يعملون لصالح كتل باطلة ضالة مدمّرة لن يقر لها قرار إلا أن ترى هذه البلاد كالصومال مجاعةً وكأفغانستان تشرداً، وكالعراق فوضى، لن يقر لهؤلاء الأعداء قرار إلا أن يجعلوا النّاس في هذه البلاد الآمنة المطمئنة وأهلها كذلك إلا أن يجعلوهم يتفرقون أيدي سبأ وتشعل الحرب نار الطائفية والفتن، ويقتل الناس بعضهم بعضاً بشرارة كانت بدايتها مطية أو شعاراً اسمه: بغض الكفار والولاء للمسلمين والبراء من الكافرين!

والمصيبة أن الأمة إذا تساهلت بالأمن الفكري فإن الخلل يتبعه أمنٌ مخرب، أمنٌ مخترق، أمنٌ ضعيف، أمنٌ مختل، بسبب ما سبقه من التهاون في مسائل الأمن الفكري.

نحن جميعاً مسؤولون مسؤوليةً شاملةً كاملةً تامةً عامةً صغيرنا وكبيرنا، خطيبنا وأستاذنا، وإمامنا وقاضينا، ورجل الأمن فينا، والرجل والمرأة، والفتى والفتاة: أن نقف جميعاً لصد هذا الفكر الوافد الغريب العجيب الذي نعترف أننا ظللنا زمناً وكثيرٌ منا ربما تردد في نقده، أو استحى في كشف زيفه، أو خاف من نقد جماهير معينة في أن يقدم بقوةٍ في كشف أستاره وهدم أغواره وفضح أسراره.

ما لم نكن على غاية من الجرأة والشجاعة في نقد هذه المسالك الفكرية المنحرفة فإننا ندفع الثمن غالياً، ولن ننعم بالعبادة، لن ننعم بالدعوة، لن ننعم بالاستقامة، لن ننعم بالصلاة، لن ننعم بالصحة، لن ننعم بالعافية، لن ننعم بالخيرات والبركات المتدفقات، قال -تعالى-: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝﴾ [قريش٣-٤]، إذاً العبادة بكل أنواعها ظاهرةً وباطنةً، نفسيّةً ومعنويةً، بشعائرها التّعبدية، وغاياتها ومسائلها المشروعة، العبادة باسمها الجامع لكل ما يحبه الله، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، تحتاج إلى أمرين، تحتاج إلى السلامة من المجاعة وتحتاج إلى أجواء آمنة مطمئنة؛ إلى مناخ هادئ وادع، وبدون كفاية الناس في

طعامهم وشرابهم، وبدون كفاية الناس في أمنهم، فإن أول بلوى تحيق بهم وتحل بهم، أنهم يحرمون لذة العبادة، وطعم العبادة بكل أنواعها وما يصدق عليها.

عندما يختل الأمن، لا قيمة للمدارس ولا للجامعات، وحينما يختل الأمن، الزراعة هامدة، والتّجارة كاسدة، والمصانع مغلقة، وحينما يختل الأمن لا حاجة للناس أن يبنوا مستقبلاً واعداً، ويكشفوا طاقات أبنائهم ليوظفوها فيما ينفعهم، حينما يختل الأمن، لن يكون هم الناس إلا بحثاً عن سلاح، وهرباً إلى ملجأ، وبحثاً عن طعام، ولهثاً وراء شربةٍ ولو مكدرة، وبحثاً حثيثاً عن دواء، حينما يختل الأمن لن تجد اجتماعاً ، ولا محاضرةً ولا خطبةً، ولا دعوةً، ولا حلقات قرآن، ولا مدارس تعليم ولا صناعة ولا مهن ولا حرف ولا ما ينفع الناس في قليل أو كثير.

إذا اختل الأمن أصبحت مطالب الناس السلاح والغذاء والدواء، والبحث بل والهرب بعيداً عن مواقع الفتن لجوءاً إلى ملاذ آمن ولو كان قبراً في أرض أو كهفاً في جبل.

إن من المصائب والبلايا التي حلت بأمتنا، أن هؤلاء الذين أخذوا على عاتقهم، ترويع الآمنين وتخريب المجتمع الآمن بما ينزعون من القرآن دليلاً، ويؤولونه بما يوافق أهواءهم تأويلاً، وينزعون من سنة رسول الله ﷺ نصوصاً وأحاديث ثم يستدلون بهذا الفهم المكدر المؤول السقيم الذي لا يسنده علم ولا مسوغ في الشريعة ولا تسليم بالعقل، ولا تجربة ولا حكمة.

إن كثيراً من الذين ما قرأوا وما كتبوا ربما ما شدت الرحال ليؤخذ من تجاربهم في ما عرفوه بين الخوف والأمن وبين الجوع والري وبين الأحوال المتناقضة، أما هؤلاء فلا يعرفون إلا أن الدم وسيلة إلى التغيير، وأخبث من ذلك حينما يقال إن الدم أمر يتقرب به إلى الله -عزّ وجل-، هل نتقرب إلى الله بالجنائز التي صُلّي عليها في مدينة الرياض، ودماء الآباء والأمهات والإخوان والأخوات تترى على الخدود هتانة لم يتوقف دمعها بسبب الفجيعة، هذا حارس عند مبنى مجمع، قتل في اللحظات التي فيها زوجته تطلق فيها في مستشفى الولادة، فولد له وليد

ساعة خروجه إلى الدنيا رافقت استقرار الرصاص في رأس وجمجمة أبيه، وآخر خرج مطمئناً وجيء بنبأه إلى أهله قد احترقت أشلاؤه وتمزعت بسبب هذا الانفجار، جنائز لشباب صُلّي عليهم في مدينة الرياض، هل قتلوا في سبيل الله جهاداً؟ هل قتلوا في مرضاة الله -عزّ وجل-؟ قتلتهم أيدٍ آثمة تتقرب بدمائهم إلى الشيطان وليست إلى الرحمن، قال -تعالى-: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة:١١-١٢].

هل هذا من الدين أن يردى الناس قتلى وأن يقتحم على المستأمنين الذين دخلوا البلاد بعهد وإذن من ولي الأمر، ثم في لحظة يجدون أنفسهم ما بين من ترمَّلت زوجته، وتيتَّم طفله، وفجع أهله، وحلت المصيبة في داره بعد أن كان مسافراً، أو مغادراً يريد أن يعود إلى أهله برزق ولقمة.

ما ذنب هؤلاء الذين قتلوا بلا سبب!؟

وما هو تأويل أو تفسير إزهاق أرواحهم وسفك دمائهم في دين الله -عز وجل-؟!

هل في القرآن دليل يبيح أن تُقتل سبعةُ أنفس من المسلمين المصلين الصائمين الحاجين المعتمرين الراكعين العابدين؟

هل في القرآن دليل أو في السنة ما يجيز لك أن تقتل أقواماً دخلوا مستأمنين غير حربيين؟!

قال -تعالى-: ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ ﴾ [الممتحنة:٨-٩].

هؤلاء الذين دخلوا بإذننا وأماننا وأمان ولي أمر المسلمين من الذي يجيز أن تستباح دماؤهم وأن تزهق أرواحهم، وإذا أجزنا إباحة دمائهم إذاً فلا بأس أن

تُغتصب نساؤهم وأعراضهم، وإذا أبحنا سفك دمائهم فلا بأس أن تُسرق وتُنهب أموالهم، وإذا أبحنا سفك دمائهم فما الفرق بين هؤلاء في هذا المجمع وبين غيرهم في أنحاء البلاد، لو أن هذا الفقه المطلوب والفهم السقيم والانحراف كان سائغاً: لكان أقل ما ينبني عليه أن كل من تراه إذا كان غير مسلم فإن عرضه لك وماله لك ودمه مهدر بين يديك. هل يقول بذلك أحد؟ هل يرضى بهذا أحد؟ في أية ملة وأية شريعة تسفك الدماء باسم القرآن والسنة؟ في أي فهم تزهق الأرواح باسم الكتاب والسنة.

هذا جزء من تقصيرنا في كشف زيف الأفكار الوافدة المستوردة، هذا جزء من نتائج عدم اهتمامنا غاية الاهتمام بالمبادرة للقضاء على هذه الأفكار الوافدة ووأدها وإجهاضها في مهدها قبل أن تكبر وأن تطول وتعرض.

نحن لا نريد أن ندفع الثمن في مجتمعنا غالياً كما دفع في الجزائر ظلوا زمناً طويلاً في كل يوم يصبحون على مجزرة، طفل يقتل لم يفطم بعد، وحامل يبقر بطنها وشيخ كبير يجدون رأسه بين رجليه عند بابه، وأسرة بأكملها تتشحط في دمائها.

حمامات من الدم سالت في الجزائر في مرحلة من المراحل وفي فترة من الفترات وكان مما خففها ودفع كثيراً من ضلالها رسالتان بعث بهما سماحة الإمام العلامة الراحل الشيخ عبد العزيز بن باز، وسماحة الإمام العلامة الراحل الشيخ محمد بن صالح بن العثيمين يخاطبون فيها أهل الجبال أن اتقوا الله في الدماء والأعراض وألقوا السلاح، وعودوا إلى مجتمعكم، وتعايشوا مع المجتمع المدني بحياته. فكانت تلك الرسائل من أولئك العلماء سبباً دفع قدراً كبيراً من الفتنة وكشف قدراً كبيراً من المحنة.

حماة الإسلام! من قواعد هذه الشريعة أن الدماء معصومة والأموال معصومة والحقوق والأعراض معصومة معظمة محرمة لا تستباح باجتهاد قاصر ولا تسفك برأي متحمس ولا تهدر بحماس مقتدر أيًا كان، والولاء للمسلم لا يمنع من إقامة الحد عليه، والبراء من الكافر لا يجيز أن نظلمه. قال -تعالى-:﴿ وَلَا

يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة:٨]، الولاء للمسلم لو أن مسلماً قتل مسلماً هل ينتهي الولاء؟ يظل الولاء للمسلم القاتل مع تنفيذ حكم القصاص فيه. ليس التدين وليس الولاء للمسلم بعذر في تقديم أفضال الأحكام وتعطيل الأحكام وعدم القيام بالأحكام الشرعية الواجبة.

مسلم قتل أو اعتدى يظل مسلماً ولكنه يقتل به قصاصاً، مسلم سرق مالاً يظل مسلماً وتقطع يده حدًّا، مسلم شرب خمراً يظل مسلماً ويجلد حدًّا، مسلم زنى بمحصنة يموت مسلماً على كبيرة من الكبائر ويرجم حدًّا من الله -عز وجل-.

نحن عرفنا الملتزمين بشرع الله المستقيمين على طاعة الله، أين رأيناهم؟! في المحاضرات بالمساجد، في مصانعهم، ومساجدهم، وفي أسواقهم، في حلقات تحفيظ القران، في إغاثة المنكوبين، في كفالة الأيتام، في مساعدة المحتاجين، في قضاء حوائج المسلمين، في كل عمل مشروع ظاهر وباطن أيّاً كان في المساجد قريباً أو بعيداً منها مادام في غايته ينصب في مرضاة الله -عز وجل-، هذه هي الاستقامة ليست الاستقامة أمراً ظاهراً ويستغل الأمر الظاهر أو الصمت الظاهر في أن تبلى الأمة بألوان من المصائب التي لا تنتهي وصور من الفجائع التي يظل العاقل والحليم بها حيران.

إن من الواجب أن نعلم غاية العلم أن لا مسوِّغ لهذا العمل بأي حال من الأحوال وكل ما رأيتموه أو قرأتم له أو سمعتم منه يبرر مثل هذا فتبريره مردود عليه ولا مزايدة. إن كان يبرره في الجهاد في سبيل الله فما أكثر الشباب الذين جاهدوا في أفغانستان وفي الشيشان وفي البوسنة لكنهم لا ولم ولن يعتقدوا يوماً من الأيام أن الجهاد يعني تصويب المسدسات إلى رؤوس الأبرياء من المسلمين المصلين، ولا يعرفون أو يفهمون أن الجهاد يعني أن تقتحم مجمعاً فيه أناس من المستأمنين الذين دخلوا بعقد الأمان ثم تجعل عاليها سافلها بعمليات انتحارية، ثم هؤلاء الذين انتحروا؛ إلى أين ولوا؟! هل هي شهادة

في سبيل الله؟ لا والله الشهادة في سبيل الله من فعل هؤلاء براءة.

ما الذي يجعل العقل مغسولاً غسيلاً والدماء مغسلة تغسيلاً والفكر معطلاً تعطيلاً إلى درجة أن الواحد يعمل بنفسه إلى أسباب النار، قال -تعالى-: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ [النساء:٩٣].

يوم كان الجهاد في أفغانستان جليًّاً واضحاً، مسلمون أفغان يقاتلون شيوعيين من الروس الملاحدة، الكل وقف وتبرع ونادى والمنابر نحت من فوقها الحناجر كلها تدعو إلى الجهاد في سبيل الله، وما ترددت في يوم من الأيام أن جهاد المسلمين في فلسطين موجه للصهيونية التي تتعمد تدمير الدور وقتل الأبرياء ومواجهة العُزَّل بطائرات أباتشي والقناصة وغير ذلك، الكل حيا ذلك الصمود وذلك الجهاد ودعمه بنفسه وقنوته ودعائه وماله، وكم عرفنا كم من إخواننا مات في الشيشان وفي البوسنة وفي كوسوفا وغير ذلك.

لكن هل هذا جهاد؟

إذاً؛ لا مبرر ولا مزايدة ولا حجة يوم أن يقول أحدهم: إن هذا الفعل باب أو ضرب من ضروب الجهاد! لا والله ما عرفنا الصادقين في الجهاد الذين نحبهم في الله -عز وجل- ممن يحمل هذا الفكر، هذا فكر دخيل، يريد أن يخرب المجتمع ويفكك لُحمته ويقطع أواصره ويركب مطية الجهاد، والجهاد أبعد ما يكون عن مثل هذه الأعمال.

من كانوا يزايدون على البراء من الذين يعادون المسلمين فنحن وإياهم وكل مخلص أشد براء لله -عز وجل- يبرأ إلى الله ممن يعادون المسلمين أو يحاصرون شعوبهم أو يسلبون ثرواتهم أو يجعلون لهم المكائد لإضلالهم واضطرابهم وإفسادهم.

إذاً من الذي يقف وراء هذا الفعل ومن الذي يتبعه؟! الشر مرفوض أيّاً كان سواء كان ببذلة أو بعمامة أو بثوب أو بعباءة.

يجب أن نعرف أننا لسنا أغبياء ولا يجوز أن نكون كذلك، إلى درجة أن من أراد أن يستدرجنا باسم الدين طأطأنا قليلاً وترددنا كثيراً وخذلنا في أن نسأله

بكل صراحة: من أنت؟! ومن أين جئت؟! وماذا تريد؟ وما هي غايتك؟ وما هو سبيلك؟ كيف أسلوبك؟ وما مراحلك؟ ومن يزكيك؟ ومن جاء بك؟ أين تاريخك؟ في ... وفي الفقه وفي الدعوة وإصلاح العباد وفي الغيرة على المسلمين وأعراضهم.

إن الجبن والخوف والتردد في طرح كل نقد واضح بحجة جلية بهذا الفكر يجعلكم ويجعلنا ويجعل كل مسلم ومسلمة يدفعون الثمن غالياً كما دفعه هؤلاء الذين صلي عليهم في مدينة الرياض، جنائز مظلومين مجروحين ممزقين قد عبث الرصاص بأبدانهم بالبنادق والقنابل وغيرهما.

هكذا ندفع الثمن -شئنا أم أبينا- إذا سكتنا أو ترددنا في طرد هذا الفكر أو إعلان العداوة له مهما كان الثمن ومهما كانت النتيجة وأن من واجبنا أن نقف صفّاً واحداً وصوتاً واحداً وبياناً واحداً كل من قبله ومن موقعه ومن منبره ومن عمله ومن ميدانه أن نعلن أننا أبرياء من هذا الفعل وأن الإسلام بريء من هذا الفعل.

بعض الناس مقياسه فيما يسمعه إذا سمع خطاباً أراد أن يعرف هل هو خطأ أو صواب؟ مقياسه فيه كان الخطاب متشنجاً متشدداً متزمتاً فهذا أقرب إلى الحق في نظره.

وهذا مرفوض البتة لماذا؟ لأن النبي ﷺ جاء بالشريعة الحنيفية السمحة، وقال: «إن الرفق ما كان في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه»، وقال: «إن الله رفيق يحب الرفق بالأمر كله» وما خير ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً.

كل نصوص الشريعة تقول لنا: إن الدين جاء تخفيفاً ورحمة وما جاء تزمتاً وتعقيداً ونقمة.

الذين لا يعرفون التدين فليعرفوه؛ هو: كالماء البارد على الظمأ، وكالطعام اللذيذ عند الجوع، وكالفراش الناعم في جوف الشتاء القارس في جوف الليل.

الذين لا يجدون لذة التدين والرفق واللين واليسر فليراجعوا هذا التدين وإن سموه كذلك.

نعم القابض على دينه مثل القابض على الجمر، لكن في معاملة البشر

والنفس مجاهدة لاشك أنها في حقيقتها لذة، وانسجام وطمأنينة وراحة.

ما جاء التدين إلا لنكون شامات بيضاء، لنكون ومجتمعنا متحدين في سياق واحد، ما جاء التدين ليحسبنا أقساماً وأصنافاً وأحزاباً وأنواعاً، إنما لنكون كما قسمنا القرآن إما سابقاً بالخيرات أو مقتصداً أو ظالماً لنفسه، الفقه والعلم والاستقامة والتدين تجعل من رأى بنفسه صلاحاً يدنو بغاية الشفقة واللين والرحمة والحكمة لمن فاتهم ذلك حتى يجدوا ملة الإيمان ما فاتهم ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾.

وهناك من لا يعرف الصواب بالخطاب إلا إذا كان معه البكاء والعويل والنحيب. والحق أن هذا الدين يسري إلى القلوب بلا حاجة إلى كثير من التكلم، حقائق هذه الشريعة، نصوص هذا الوحي منسجمة مع الفطرة تتغلغل في الأرواح، لا تحتاج إلى التكلف بأي حال من الأحوال وكم من أناس بكوا وأبكوا وهم في ضلال مبين!

نعم ليست عداوة الدولة دليلاً على الحق وليس النفاق والمداهنة أيضاً دليلاً على الحق إنما الحق دليله كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكل أمر في حياتنا وفي مجتمعنا وفي مؤسساتنا، يجب أن يعرض على كتاب الله وسنة رسوله بفقه وفهم العلماء الأثبات الذين شابت لحاهم، ليس بفقه المتهورين، ولا بفقه الذين يتجرأون على الأعراض والدماء، وليس بفقه الذين ما رأوا أمراً حديثاً إلا ويظنونه في غاية البعد عن دين الله -عز وجل- دون أن ينظروا إلى فهم وفقه العلماء.

إذاً؛ القاعدة النخرة التي عُبث بها، القاعدة التي تقول لكثير من الشباب: إنك ما وقفت موقفاً توافق عليه بلادك وعلماؤك ودعاتك وولاة أمرك إلا وكان هذا الموقف نقصاً في مقامك!! إن كنت تريد أن تكون مستقلاً قيادياً فإياك أن تصنف لا مع الدولة ولا مع العلماء إلا مع هؤلاء.

إذا لم أصنف مع العلماء الصالحين ولم أصنف مع ولاة أمرنا الذين حقهم علينا أن نناصحهم، الدين النصيحة لله ورسوله وكتابه، وأئمة المسلمين وعامتهم، إذا لم

أصنف مع الدعاة المخلصين، مع مجتمعنا بأسره أيّاً كان فيه من أجل المعصية أو الصلاح أو الخير، ونشعر أننا إخوة ولبنة واحدة وأمة واحدة، تريدني أصنف مع من أصنف مع المعارضة أو مع الطابور الخامس أو المنافقين الذين يندسون في المجتمع باسم الدين؟!

والله إن أناساً يوم أن تجلس معهم وتبحث في فكرهم وتحاورهم وتناظرهم وتقول لهم: لا بأس فيما تقولون بشرط أن نعرض فكركم وآراءكم وأقوالكم على خمسةٍ أو ستّةٍ من كبار علمائنا، ونسلم جميعاً بما يرونه في هذا الفكر يقول: لا أقبل!!

هذا فكر لا يمكن أن ينمو إلا في ظل السراديب و الأقبية أو الكواليس.

خفافيش أعماها النهار بضوئه
ووافقها قطعاً من الليل أظلم

هذه ظواهر خطيرة في مجتمعنا، أن نجد أن السرية في أمر الدين دليل على الصواب والغيرة والدعوة والصدق.

إذا كنت قادراً على الظهور فما الحاجة إلى الخفاء؟ إذا كنت قادراً على التصريح فما الحاجة إلى التلميح؟ إذا كنت قادراً على المشي في وضح النهار فلماذا تمشي في جنح الظلام؟ إذا كنت قادراً أن تعبد الله مع الجماعة فلماذا تعبد الله في الأقبية؟ وأن تدعوا الناس بكل كتاب معلوم وبكل شرع معروف وبكل فكر موثوق فما الحاجة أن تتعامل مع الشاذ من الأفكار والغريب من العبارات والضعيف من النصوص والشاذ من الاجتهادات؟

لو أن رجلاً درس الشريعة فضل ضلالاً مبيناً ثم أجمع العلماء على ضلال فكره وانحراف مقالته هل من العقل أن أتمسك وأتشبث بفكر واحد أو آحاد شاذ أو شاذين ومنحرفين في فهمهم وأفكارهم ومئات العلماء والدعاة والقضاة ورؤساء الأقسام في الجامعات الإسلامية والكتاب والمفكرين والعقلاء والحكماء جميعهم هؤلاء على ضلال مبين؟

أما الحق فهو عند فلان الذي لا يتكلم إلا في ساحة مجهولة، وفي زبالة إلكترونية وعبر منشور دعي وعبر مقال مدسوس.

والحمد لله ربّ العالمين.

العراق ونزيف حضارة خمسة آلاف عام!!

• بقلم: خالد بن عبد العزيز الجناحي

كلما حاولت أن أجمع همتي للكتابة في هذا الموضوع، أجد نفسي عاجزاً عن إيجاد كلماتٍ أبتدئ بها هذا المسطور، لأعبر عما يحيكُ في الصدور، جرّاء ما حدث في أرض الرافدين من كارثة مروعة.

نعم، فإني كاتب عن هوةٍ سوداء عظيمة نكراء في تاريخ الإسلام والمسلمين، بل وتاريخ الإنسانية جمعاء. وإذا كنت عاجزاً عن ذكر ما حدث في مدينة العلم -بغداد- من مآسٍ و آلام، فقد عجز مَنْ قبلي مَنْ كانت صناعته صياغة التأريخ وتدوينه، وذكر ما حدث من غزواتٍ وحروب، وفتوحاتٍ وكروب. فهذا ابن الأثير يحكي في «كامله» عن حادثةٍ مشابهة لما فعله الأمريكان والإنجليز من دمار وخراب في العراق في الأسابيع القليلة الماضية، إنها حادثة دخول التتار وهولاكو -بغداد المستعصم-.

حيث يقول: «لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة

استعظاماً لها معرضاً لذكرها فأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟؟ فيا ليت أميّ لم تلدني، و يا ليتني مِتُّ قبل حدوثها و كنت نسياً منسيّاً» انتهى.

إن ما حصل على يد هولاكو قبل حوالي ٧٤٥ عاماً في بغداد يتكرر اليوم ولكن تحت قيادة ورعاية (بوش) وجنوده. و إذا كانت الميازيب -لما دخل التتار بغداد- تجري من الدماء في الأزقة، جرّاء قتل آلاف على يد هولاكو و جنوده، فها هي طائرات الغزاة اليوم قد قتلت آلاف الأبرياء من أطفال و شيوخ و نساء، نتيجة القصف الهمجي الذي تواصل لأكثر من عشرين يوماً ، وبعدها دخلوا بغداد في يوم الأربعاء السابع من صفر، وهو نفس اليوم والشهر الذي تمكن فيه التتار من دخول بغداد!!!

وها هم الآن وبعد أن دخلوها، قد استباحوا لأنفسهم وللغوغائية التي تواطأت معهم لسلب و نهب وحرق جميع منشآت الدولة العلمية وغيرها، فقد نهبوا متاحف بغداد والموصل وكركوك والبصرة وجامعاتها وحضارة خمسة آلاف عام!! وما لم يستطيعوا نهبه أتلفوه وحرقوه، فإنا لله وإنّا إليه راجعون. تماماً كما فعل التتار، ومَنْ تواطأ معهم يومئذٍ، و على رأسهم الوزير الرافضي الخبيث ابن العلقمي -عليه من الله ما يستحق- فقد ركّز التتار آنذاك و بتحريض من ابن العلقمي على تخريب القصور و إتلاف الكتب التي كانت تعبر عن حضارة الأمة وثقافتها، حيث كانت بغداد آنذاك عاصمة الخلافة ومهد الحضارة ومدينة النور، حتى وصل حقد التتار إلى حد أنهم ملأوا نهر دجلة بالمخطوطات، ليجعلوا منها جسراً لعبور خيلهم إلى الضفة الأخرى من النهر، حتى إن مياه النهر تحولت إلى اللون الأسود بعدما صبغها المداد الذي كتبت به المخطوطات.

وكذلك ما يحدث اليوم من تواطؤ الغوغائية أبناء الرافضة -أحفاد

ابن العلقمي- مع المعتدين الطغاة؛ فقد ركّز هؤلاء الأشرار على سرقة المتاحف ودور المخطوطات.

وبناءً على آخر التقارير لمنظمة اليونسكو وغيرها من المنظمات، فقد ذكروا أنه قد سُرقت أكثر من مئة وسبعين ألف قطعة أثرية!! تمثل تاريخ وحضارة العراق منذ آلاف السنين!!

أما الكتب والمخطوطات التي سرقت وحرّقت، فعزائي لطلبة العلم شديد، ومصابي في إتلافها كبير، فقد استهدف الغزاة الأشرار والغوغائيون معهم دور العلم ومراكز المخطوطات في بغداد والموصل وسرقوها وما لم يستطيعوا سرقته أتلفوه وحرقوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وكل ذلك يحدث تحت سمع العالم وبصره!! ﴿ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [الأنفال: ٤٤].

إن استهداف المخطوطات الإسلامية كان منذ القدم سنّة يتّبعها الغزاة لاستأصال جذور الحضارة الإسلامية، فهم يعلمون أن هذه المخطوطات وهذا التراث العلمي هي الجذور التي تنهض بها هذه الأمة كلما تعرضت لكبوة، فتجدهم دائماً حريصين كل الحرص على استئصالها وإتلافها. فهذا الباغي السلجوقي عندما احتل بغداد، أوّل ما بدأ حرق دار العلم، و كان فيها قرابة الأربع مئة ألف مخطوط!!

إذاً فمسألة نهب وإتلاف وحرق المخطوطات والوثائق العلمية والتاريخية، إنما هي مقصودة ومدروسة ومخططٌ لها من قِبل أعداء أهل السنّة -الرافضة-، وأعداء الإسلام -اليهود والنصارى-.

و لكي لا يتحول الأمر إلى بكائية على أطلال ما حدث في مكتبات العراق ودور العلم فيها، أقول مطمئناً إيّاكم: إن رأس مالنا في هذه الملحمة إنما هو الإنسان وبالتحديد الإنسان الواعي، الإنسان المثقف، الإنسان المتحضر؛ وأقول لشعب العراق خاصةً: إن هذا الشعب الذي بنى هذه الحضارة وبنى

تلك المدن التي كانت منبعاً للعلم وملاذاً للعلماء، أقول له: أنه يستطيع أن يرمم نفسه و يُقوّم حضارته من جديد ويواصل نهضته العلمية التي بدأت على ضفاف الرافدين منذ آلاف السنين والتي ما يزال قلبها ينبض بروح التفاؤل والحياة والأمل.

وأخيراً، أقول: إذا كان الطبري وابن كثير وابن الأثير و عشرات آخرون من مؤرخي المسلمين قد أرّخوا بأسىً لهجمة التتار، ولهجمة السلاجقة، فلا ندري ما الذي سيسطره مؤرخو اليوم للأجيال القادمة عن حملة (بوش)، حيث أنهم استباحوا حضارة العراق وتاريخه تحت مرأى العالم و سمعه؟؟

ولا حول ولا قوة إلا بالله ربِّ العالمين.

قال الإمام الألباني -رحمه الله-:

«ما أشبه الليلة بالبارحة، بل الأمر أسوأ؛ فإنّه لا خليفة اليوم لهم، لا اسماً ولا رسماً، وقد تغلبت اليهود والشيوعيون والمنافقون على كثير من البلاد الإسلامية. فالله -تعالى- هو المسؤول أن يوفّق المسلمين أن يأتمروا بأمره في كلِّ ما شرع لهم، وأن يلهم الحكام منهم أنْ يتّحدوا في دولةٍ واحدةٍ تحكم بشريعتِه، حتى يُعزّهم اللهُ في الدنيا، ويُسعدهم في الآخرة، وإلا فالأمر كما قال -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾، وتفسيرها في الحديث الصحيح: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزّرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله، سلّط اللهُ عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم»، فإلى دينكم أيها المسلمون حكاماً ومحكومين».

[«السلسلة الصحيحة» (٨٤٦/٦)]

❖ الحلقة الثانية

مختصر وصية الفقيه أبي الوليد الباجي لِوَلَديه

• بقلم: عبدالرحمن بن محمد بن موسى آل نصر

قال الحافظ أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي لابنيه موصياً لهما على ما يَتَعلقُ بأمر دينهما ودنياهُما -رحمة الله عليهم-:

... واعلما أنكما إنّما تَصلان إلى أداء الفرائض والإتيان بما يلزمكما -مع توفيق الله لكما- بالعلم؛ الذي هو أصلُ الخير وبه يُتَوصَّل إلى البر فعليكما بطلبه فإنه غنى لطالبه وعزٌّ لحامله وهو -مع هذا السبب الأعظم إلى الآخرة- به تُجتَنب الشبهات وتصح القُربات، فكم من عاقل يبعده عمله من ربه ويكتب ما يتقرب به من أكبر ذنبه قال الله -تعالى- ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ﴾ [فاطر:٢٨]، وقال -تعالى-: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

* والعِلمُ سبيل لا يفضي بصاحِبه إلا إلى السعادة والسلامة ولا يقصر به عن درجة الرفعة والكرامة

قليله ينفع وكثيره يعلي ويرفع، كنز يزكو على كل حال ويكثر مع الإنفاق ولا يغصبه غاصب ولا يخاف عليه سارق ولا محارب فاجتهدا في طلبه واستعذبا التعب في حفظه والسهر في درسه والنصب الطويل في جمعه وواظبا على تقييده وروايته ثم انتقلا إلى فهمه ودرايته.

* العِلْمُ ولايةٌ لا يُعْزَل عنها صاحبها ولا يَعْرى من جمالٍ لابسها وكل ذي ولاية وإن جلت وحرمة وإن عظمت إذا خرج عن ولايته أو زال عن بلدته أصبح من جاهه عارياً ومن حاله عاطلاً غير صاحب العلم فإنَّ جاهه يصحبه حيث سار ويتقدمه إلى جميع الآفاق والأقطار ويبقى بعده في سائر الأمصار.

* وأفضل العلوم علم الشريعة وأفضل ذلك لمن وُفِّق أن يجوّد قراءة القرآن ويحفظَ حديث النبي ﷺ ويعرف صحيحه وسقيمه ثم يقرأ أصول الفقه فيتفقه في الكتاب والسنة ثم يقرأ كلام الفقهاء وما نقل من المسائل عن العلماء ويتدرّب في طرق النظر وتصحيح الأدلة والحجج فهذه الغاية القصوى والدرجة العليا.

* وإياكما وقراءة شيء من المنطق وكلام الفلاسفة فإن ذلك مبني على الكفر والإلحاد والبعد عن الشريعة والإبعاد.

* وإنما أحذركما من قراءتها ما لم تقرآ من كلام العلماء ما تقويا به على فهم فساده وضعف شبهه وقلة تحقيقه مخافة أن يسبق إلى قلب أحدكما من شُبه تمويههم ما لا يكون عنده من العلم ما يقوى به على رده.

* وعليكما بالأمر بالمعروف وكونا من أهله وانهيا عن المنكر واجتنبا فعله.

* وأطيعا مَن ولاه الله أمركما ما لم تُدْعَيا إلى معصية فيجب أن تمتنعا منها وتبذلا الطاعة فيما سواها.

* وعليكما بالصدق فإنه زَيْن وإياكما والكذب فإنه شَيْن ومن شُهر بالصدق فهو ناطق محمود ومن عُرف بالكذب فهو ساكت مهجور مذموم.

* وعليكما بأداء الأمانة وإياكما والإلمام بالخيانة أديا الأمانة إلى من ائتمنكما ولا تخونا من خانكما وأوفيا بالعهد قال -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٤].

* وإياكما والعون على سفك دم بأسلحة أو المشاركة فيه بلفظة فلا يزال الإنسان في فُسْحَةٍ من دينه ما لم يَغْمس يده أو لسانه في دم امرئ مسلم قال الله -تعالى-: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٣].

* واجتناب الزنا من أخلاق الفُضَلاء ومُواقَعَته عار في الدنيا وعذاب في الأخرى قال الله -تعالى-: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٣٢].

* وإياكما وشرب الخمر فإنه أم الكبائر والمجرّأة على المآثم.

* وإياكما والربا فإن الله قد نهى عنه وتوعد بمحاربة من لم يتب منه قال -تعالى-: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ﴾ [البقرة:٢٧٦].

* ولا تأكلا مال أحد بغير حق وإياكما ومال اليتيم فقد قال -عز وجل-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء:١٠].

وللكلام بقية ....

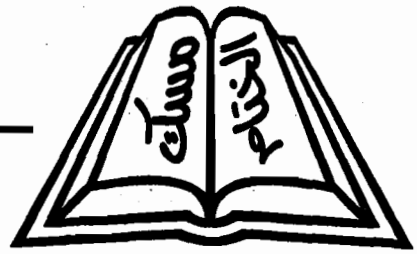

كلمةٌ تُساوي ألفاً...

●بقلم: أسرة التحرير

قليلةٌ جدّاً هي الكَلِماتُ السِّمانُ العِظام، الّتي تساوي الواحدةُ منها ألفاً مِن غيرها؛ لِمَا تحملُهُ من معانٍ جليلةٍ، ووصايا نبيلة؛ بحيثُ تُعَبِّرُ هذه الكلمةُ -بذاتها- عن نفسِها، وتُنادي إليها غيرَها، وتجمعُ حولَها مَنْ دونَها؛ ولو كان قائلُها غيرَ معروف في الناس، ولا مذكورٍ بينَهم!! فكيف -والحالةُ هذه- إذا كانت هذه الكلمةُ مِن علمٍ فَذٍّ؛ اختلط لحمُه ودمُهُ بحبِّ العلم، وتعظِيمِ الكتاب والسُّنَّة، وعَرَكَتْهُ التَّجاربُ والسِّنون، وعاصر مِنَ العُلَماءِ الأكابر جهابذَتَهم وأفرادَهم؟!

فالأَمرُ -حينئذٍ- أهدى سبيلاً، وأقوم قيلا...

وإنَّ الدَّافِعَنا -في هذا المقام- لهذا الكلام: ما اطلَعْنا عليه مِن كلامٍ حكيم، صادر عن حَبْرٍ عليم؛ هو أستاذنا الشيخ العلامة المحدث عبد المحسن العبَّاد البدر -حفظه اللهُ، وأجزل مثوبتَه-، في رسالتهِ

النافعة: «رفقاً -أهل السُّنَّة- بأهل السُّنَّة» -الواقعة في ستِّين صفحة-.

ولقد جعل رسالتهِ هذه -نفع اللهُ به- على أبحاث؛ فابتدأ بالتذكير بـ(نعمة النطق والبيان)، ثم ثنّى بوجوب (حفظ اللسان من الكلام إلا في خير)، ثم ذكر حُرمةَ (الظنِّ والتجسُّس)، ثم عطف على ذلك بذكر لزوم (الرفق واللِّين).

وكانت هذه -كلُّها- مقدماتٍ لِصُلبِ الكتاب، ومطلوبهِ الأساسي، وهو: (موقف أهل السُّنَّة من العالم إذا أخطأ: أنه يُعْذَر، فلا يُبَدَّع ولا يُهجَر).

ثم ختم كتابه -نفع اللهُ بعلومهِ- بالإشارة إلى: (فتنة التجريح والهجر من بعض أهل السُّنَّة في هذا العصر، وطريق السلامة منها).

ولقد كان مِن كلامهِ -أحسن الله خاتمته- في (ص٤٤-٤٧): -من رسالته- قولُهُ:

«حصل في هذا الزَّمان انشغال بعض أهل السُّنَّة ببعض تجريحاً وتحذيراً، وترتَّب على ذلك التّفرُّق والاختلاف والتّهاجر، وكان اللائقُ بل المتعيَّن التّواد والتّراحم بينهم، ووقوفهم صفّاً واحداً في وجه أهل البدع والأهواء المخالفين لأهل السُّنَّة والجماعة، ويرجع ذلك إلى سببين:

أحدهما: أنَّ من أهل السُّنَّة في هذا العصر من يكون دَيْدَنُه وشغلُه الشاغل تتبُّع الأخطاء والبحث عنها، سواء كانت في المؤلفات أو الأشرطة، ثم التّحذير مِمَّن حصل منه شيءٌ من هذه الأخطاء، ومن هذه الأخطاء التي يُجَرَّح بها الشخص ويُحذَّر منه بسببها: تعاونه -مثلاً- مع إحدى الجمعيات بإلقاء المحاضرات أو المشاركة في النّدوات، وهذه الجمعية قد كان الشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ محمد بن عثيمين -رحمهما الله- يُلقيان عليها المحاضرات عن طريق الهاتف، ويُعاب عليها دخولها في أمر قد أفتاها به هذان العالمان الجليلان، واتِّهام المرء رأيه أولى من اتهامه غيره، ولا سيما إذا كان رأياً أفتى به كبار العلماء، وكان بعضُ أصحاب النَّبيِّ ﷺ بعدما جرى في صلح

الحُديبية يقول: يا أيُّها الناس! اتَّهموا الرأي في الدِّين.

ومن المجروحين مَن يكون نفعُه عظيماً، سواء عن طريق الدروس، أو التأليف، أو الخطب، ويُحذَّر منه لكونه لا يُعرف عنه الكلام في فلان، أو الجماعة الفلانية -مثلاً-، بل لقد وصل التّجريح والتّحذير إلى البقيَّة الباقية في بعض الدول العربية، مِمَّن نفعُهم عميم، وجهودهم عظيمة في إظهار السُّنَّة ونشرها والدعوة إليها، ولا شكَّ أنَّ التَّحذير من مثل هؤلاء فيه قطع الطريق بين طلبة العلم ومَن يُمكنهم الاستفادة منهم علماً وخلقاً.

والثاني: أنَّ من أهل السُّنَّة مَن إذا رأى أخطاء لأحد من أهل السُّنَّة كتب في الردِّ عليه، ثم إنَّ المردودَ عليه يُقابل الردَّ بردٍّ، ثم يشتغل كلٌّ منهما بقراءة ما للآخر من كتابات قديمة أو حديثة والسماع لِمَا كان له من أشرطة كذلك؛ لالتقاط الأخطاء وتصيُّد المثالب، وقد يكون بعضُها من قبيل سبق اللسان، يتولّى ذلك بنفسه، أو يقوم له غيرُه به، ثم يسعى كلٌّ منهما إلى الاستكثار من المؤيِّدين له المُدينين للآخر، ثم يجتهد المؤيِّدون لكلٍّ واحد منهما بالإشادة بقول من يؤيِّده وذم غيره، وإلزام من يلقاه بأن يكون له موقف مِمَّن لا يؤيِّده، فإن لم يفعل بدَّعه تَبعاً لتبديع الطرف الآخر، وأتبع ذلك بهجره، وعَمَلُ هؤلاء المؤيِّدين لأحد الطرفين الذامِّين للطرف الآخر من أعظم الأسباب في إظهار الفتنة ونشرها على نطاق واسع، ويزداد الأمر سوءاً إذا قام كلٌّ من الطرفين المؤيِّدين لهما بنشر ما يُذم به الآخر في شبكة المعلومات (الإنترنت)، ثم ينشغل الشباب من أهل السُّنَّة في مختلف البلاد بل في القارات بمتابعة الاطلاع على ما يُنشر بالمواقع التي تنشر لهؤلاء وهؤلاء من القيل والقال الذي لا يأتي بخير، وإنَّما يأتي بالضرر والتفرُّق، مِمَّا جعل هؤلاء وهؤلاء المؤيِّدين لكلٍّ من الطرفين يُشْبِهون المتردِّدين على لوحات الإعلانات للوقوف على ما يجدُّ نشره فيها، ويُشْبِهون -أيضاً- المفتونين

بالأندية الرياضية الذين يشجِّع كلٌّ منهم فريقاً، فيحصل بينهم الخصام والوحشة والتنازع نتيجة لذلك».

ثم ختم -حفظه الله -تعالى- كلامَهُ بإيراد (طريق السلامة مِن هذه الفتن)؛ ذاكراً -أولاً- (ما يتعلّق بالتّجريح والتّحذير):

فنصح الذي شغَلَ نفسه بتجريح العلماء وطلبة العلم والتحذير منهم: بالبحث عن عيوبه للتخلُّص منها، مستصحباً تقوى الله -تعالى-.

ثم أوصاه بدلاً من ذلك التّجريح بتحصيل العلم النافع، والجدِّ والاجتهاد فيه.

ثم جعل هذه الوصيةَ -الأخيرةَ- موجّهةً إلى (الطلبة من أهل السُّنَّة في كل مكان) لينصرفوا (إلى الاشتغال بالعلم؛ بقراءة الكتب المفيدة، وسماع الأشرطة لعلماء أهل السُّنَّة).

ثم أوصى -متّع الله بهِ- عند السؤال عن حال أشخاص- بالرجوع إلى الهيئات العلميَّة المتخصّصة، مع تحقيق التّعاون بين طلبة العلم وهذه الهيئات تكامُلاً وتتميماً.

ثم ذكر -ثانياً- (ما يتعلّق بالرد على مَن أخطأ)، وأنه ينبغي فيه مُراعاة أمور:

١- الرد برفق ولين، مع رغبةٍ شديدةٍ في سلامة المخطئ من الخطأ.

٢- عند اشتباه المسائل -عند الردّ- يُرجع للفصل فيها للهيئات العلميَّة المعتبرة للفصل في ذلك.

٣- عدم الانشغال بمتابعة الردود؛ مكتفياً ببعضها مؤدِّياً ما عليه فيها.

ثم أوصى -بعد- بالإعراض عن متابعة ما يُنشر في (الإنترنت) عمّا يقوله هؤلاء في هؤلاء، وهؤلاء في هؤلاء.

ثم قال:

«لا يجوز أن يَمتحن أيُّ طالب علم غيرَه بأن يكون له موقف من فلان المردود عليه أو الرَّاد، فإن وافق سلم، وإن لم يوافق بُدِّع وهُجر، وليس لأحد أن ينسب إلى أهل السنَّة مثل هذه الفوضى في التبديع والهجر، وليس

لأحد -أيضاً- أن يصف من لا يسلك هذا المسلك الفوضوي بأنّه مميِّع لمنهج السلف، والهجر المفيد بين أهل السُّنَّة ما كان نافعاً للمهجور، كهجر الوالد ولده، والشيخ تلميذه، وكذا صدور الهجر مِمَّن يكون له منزلة رفيعة ومكانة عالية، فإنَّ هجرَ مثل هؤلاء يكون مفيداً للمهجور، وأما إذا صدر الهجر من بعض الطلبة لغيرهم، لا سيما إذا كان في أمور لا يسوغ الهجر بسببها، فذلك لا يُفيد المهجور شيئاً، بل يترتَّب عليه وجود الوحشة والتدابر والتقاطع.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى»: (٢٠/ ١٦٤): «وليس لأحد أن ينصب للأمَّة شخصاً يدعو إلى طريقته، ويُوالي ويُعادي عليها غير النَّبيِّ ﷺ، ولا ينصب لهم كلاماً يوالي عليه ويُعادي غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمَّة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرِّقون به بين الأمَّة، يوالون به على ذلك الكلام، أو تلك النسبة ويُعادون».

وقال (٢٨/ ١٥-١٦): «فإذا كان المعلم أو الأستاذ قد أمر بهجر شخص أو بإهداره وإسقاطه وإبعاده ونحو ذلك نظر فيه: فإن كان قد فعل ذنباً شرعيًّاً عوقب بقدر ذنبه بلا زيادة، وإن لم يكن أذنب ذنباً شرعيًّاً لم يجز أن يُعاقب بشيء لأجل غرض المعلم أو غيره.

وليس للمعلمين أن يحزّبوا النّاس ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء، بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى، كما قال الله -تعالى-: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة:٢].

وبعد: أوليست هذه الكلماتُ تساوي ألفاً، بل ألوفاً؟!

إي وربِّنا ...

والحمدُ لله ربِّ العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز الإمام الألباني
للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية

(قسيمة اشتراك)

الاسم: .....

الدولة: ..... المدينة:..... الحي: ..... الشارع:.....

رقم المنزل: ..... الهاتف:..... الفاكس: .....

العنوان البريدي: .....

.....

.....

ماذا يستفيد المشترك:

١ـ مجلة الأصالة. ٢ـ نشرات المركز العلمية. ٣ـ نشرات المركز السمعية.

٤ـ صحيفة «البينة» باللغة الإنجليزية. ٥ـ خصم ٢٠٪ من الدورات العلمية التي يعقدها المركز.

٦ـ خصم ١٠٪ لمن يشترك لأكثر من سنة.

ـ قيمة الاشتراك السنوي: (٦٠) دينار للأردن - (٢٠٠) دولار لدول الخليج - (٢٥٠) دولار لأوروبا - (٣٠٠) دولار لأمريكا.

ـ اقتراحات أخرى.

.....

.....

ـ رقم الحساب: (١١٢٥٩) البنك الإسلامي الأردني - فرع طارق.

(ترسل الاشتراكات بحولات بنكية مصدَّقة باسم: محمد موسى نصر وسليم عيد الهلالي).

. يُرسل إشعار الحوالة إلى عنوان «مركز الإمام الألباني».